81 Surah AtTakweer li Razi, Qurtabi, Maawardi, Tantavi, Sabuni,

تفسير سورة كورت (التكوير)

الرازي،

القرطبي،

الماوردي،

الطنطاوي،

و الصابوني

تفسير مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير/ الرازي (ت 606 هـ)

{ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } *1

{ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } * 2

{ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } *3

{ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } * 4

{ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } * 5

{ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } *6

{ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } * 7

{ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } * 8

{ بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } * 9

{ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } *10

{ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ } * 11

{ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } * 12

{ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } *13

{ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ } *14

{ فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ } *15

{ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ }16

اعلم أنه تعالى ذكر اثني عشر شيئاً، وقال: إذا وقعت هذه الأشياء فهنالك
{ علمت نفس ما أحضرت } [التكوير: 14]
فالأول: قوله تعالى: { إذا الشمس كورت } وفي التكوير وجهان

- أحدهما: التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة، وفي الحديث " **نعوذ بالله من الحور بعد الكور** "

أي من التشتت بعد الألفة والطي واللف، والكور والتكوير واحد، وسميت كارة القصار كارة لأنه يجمع ثيابه في ثوب واحد، ثم إن الشي الذي يلف لا شك أن يصير مختفياً عن الأعين، فعبر عن إزالة النور عن جرم الشمس وتصييرها غائبة عن الأعين بالتكوير، فلهذا قال بعضهم: كورت أي طمست،

- وقال آخرون: انكسفت،

وقال الحسن: محى ضوؤها

وقال المفضل بن سلمة: كورت أي ذهب ضوؤها، كأنها استترت في كارة

- الوجه الثاني: في التكوير يقال: كورت الحائط ودهورته إذا طرحته حتى يسقط،

قال الأصمعي: يقال طعنه فكوره إذا صرعه، فقوله: { إذا الشمس كورت } أي ألقيت ورميت عن الفلك وفيه قول ثالث: يروى عن عمر أنه لفظة مأخوذة من الفارسية، فإنه يقال للأعمى كور، وههنا سؤالان:

- السؤال الأول: ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية الجواب: بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر، يفسره كورت لأن { إذا } ، يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط.
- السؤال الثاني: روي أن الحسن جلس بالبصرة إلى أبي سلمة بن عبد الرحمن فحدث عن أبي هريرة أنه عليه السلام، قال: " **إن الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة، فقال الحسن، وما ذنبهما؟ قال: إني أحدثك عن رسول الله** " فسكت الحسن، والجواب: أن سؤال الحسن ساقط، لأن الشمس والقمر جمادان فإلقاؤهما في النار لا يكون سبباً لمضرتهما، ولعل ذلك يصير سبباً لازدياد الحر في جهنم، فلا يكون هذا الخبر على خلاف العقل
- الثاني: قوله تعالى: { وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ } . أي تناثرت وتساقطت كما قال تعالى:

{ وإذا الكواكب انتثرت }[الإنفطار: 2] والأصل في الانكدار الانصباب، قال الخليل: يقال انكدر عليهم القوم إذا جاؤوا أرسالاً فانصبوا عليهم، قال الكلبي: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم في السماء إلا وقع على وجه الأرض، قال عطاء: وذلك أنها في قناديل معلقة بين السماء والأرض

بسلاسل من النور، وتلك السلاسل في أيدي الملائكة، فإذا مات من في السماء والأرض تساقطت تلك السلاسل من أيدي الملائكة.

- الثالث: قوله تعالى: { وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ }. أي عن وجه الأرض كقوله: { **وسيرت الجبال فكانت سراباً** }[النبأ: 20] أو في الهواء كقوله: { **تمر مر السحاب** }[النمل: 88].
- الرابع: قوله: { وإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ }. فيه قولان: القول الأول: المشهور أن { العشار } جميع عشراء كالنفاس في جمع نفساء، وهي التي على حملها عشرة أشهر، ثم اسمها إلى أن تضع لتمام السنة، وهي أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم، و { عطلت } قال ابن عباس: أهملها أهلها لما جاءهم من أهوال يوم القيامة، وليس شيء أحب إلى العرب من النوق الحوامل، وخوطب العرب بأمر العشار لأن أكثر مالها وعيشها من الإبل.

والغرض من ذلك ذهاب الأموال وبطلان الأملاك، واشتغال الناس بأنفسهم كما قال: { **يوم لا ينفع مال ولا بنون * إلا من أتى الله بقلب سليم** }[الشعراء: 88، 98]

وقال: { **ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة** }[الأنعام: 94]. والقول الثاني: أن العشار كناية عن السحاب تعطلت عما فيها من الماء، وهذا وإن كان مجازاً إلا أنه أشبه بسائر ما قبله، وأيضاً فالعرب تشبه السحاب بالحامل، قال تعالى: { **فالحاملات وقراً** }[الذاريات: 2].

- الخامس: قوله تعالى: { وإذا الوحوش حُشِرَتْ }. كل شيء من دواب البر مما لا يستأنس فهو وحش، والجمع الوحوش، و { حشرت } جمعت من كل ناحية، قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، قال المعتزلة: إن الله تعالى يحشر الحيوانات كلها في ذلك اليوم ليعوضها على آلامها التي وصلت إليها في الدنيا بالموت والقتل وغير ذلك، فإذا عوضت على تلك الآلام، فإن شاء الله أن يبقى بعضها في الجنة إذا كان مستحسناً فعل، وإن شاء أن يفنيه أفناه على ما جاء به الخبر، وأما أصحابنا فعندهم أنه لا يجب على الله شيء بحكم الاستحقاق، ولكنه تعالى يحشر الوحوش كلها فيقتص للجماء من القرناء، ثم يقال لها موتى فتموت، والغرض من ذلك هذه القصة ههنا وجوه
  - أحدها: أنه تعالى إذا كان (يوم القيامة) يحشر كل الحيوانات إظهاراً للعدل، فكيف يجوز مع هذا أن لا يحشر المكلفين من الإنس والجن؟

- الثاني: أنها تجتمع في موقف القيامة مع شدة نفرتها عن الناس في الدنيا وتبددها في الصحاري، فدل هذا على أن اجتماعها إلى الناس ليس إلا من هول ذلك اليوم
- والثالث: أن هذه الحيوانات بعضها غذاء للبعض، ثم إنها في ذلك اليوم تجتمع ولا يتعرض بعضها لبعض وما ذاك إلا لشدة هول ذلك اليوم، وفي الآية قول آخر: لابن عباس وهو أن حشر الوحوش عبارة عن موتها، يقال ـ إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم ـ حشرتهم السنة، وقرىء حشرت بالتشديد.

- السادس: قوله تعالى: { وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ } . قرىء بالتخفيف والتشديد، وفيه وجوه:
  - أحدها: أن أصل الكلمة من سجرت التنور إذا أوقدتها، والشيء إذا وقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة، فحينئذ لا يبقى في البحار شيء من المياه ألبتة، ثم إن الجبال قد سيرت على ما قال: { وسيرت الجبال } [النبأ: 20] وحينئذ تصير البحار والأرض شيئاً واحداً في غاية الحرارة والإحراق، ويحتمل أن تكون الأرض لما نشفت مياه البحار ربت فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال، ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرقت أجزاؤها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب في أسفل الجبال، فصار وجه الأرض مستوياً مع البحار، ويصير الكل بحراً مسجوراً
  - وثانيها: أن يكون { سجرت } بمعنى { فجرت } وذلك لأن بين البحار حاجزاً على ما قال:

{مرج البحرين يلتقيان * بينهما برزخ لا يبغيان} [الرحمن 19،20] :
فإذا رفع الله ذلك الحاجز فاض البعض في البعض، وصارت البحار بحراً واحداً، وهو قول الكلبي:

- وثالثها: { سجرت } أوقدت، قال القفال: وهذا التأويل يحتمل وجوهاً
  - الأول: أن تكون جهنم في قعور البحار، فهي الآن غير مسجورة لقيام الدنيا، فإذا انتهت مدة الدنيا أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك
  - والثاني: أن الله تعالى يلقي الشمس والقمر والكواكب في البحار، فتصير البحار مسجورة بسبب ذلك
  - والثالث :أن يخلق الله تعالى بالبحار نيراناً عظيمة حتى تتسخن تلك المياه، وأقول هذه الوجوه متكلفة لا حاجة إلى شيء منها، لأن القادر على تخريب الدنيا وإقامة القيامة لا بد وأن يكون

قادراً على أن يفعل بالبحار ما شاء من تسخين، ومن قلب مياهها نيراناً من غير حاجة منه إلى أن يلقى فيها الشمس والقمر، أو يكون تحتها نار جهنم. واعلم أن هذه العلامات الستة يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا، ويمكن وقوعها أيضاً بعد قيام القيامة، وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين، أما الستة الباقية فإنها مختصة بالقيامة.

- السابع :قوله تعالى: { وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ }. وفيه وجوه
  - أحدها: قرنت الأرواح بالأجساد
  - وثانيها: قال الحسن: يصيرون فيها ثلاثة أزواج كما قال }:**وكنتم أزواجاً ثلاثة * فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة * وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة * والسابقون السابقون**]{ الواقعة 7 :- 10]
  - وثالثها: أنه يضم إلى كل صنف من كان طبقته من الرجال والنساء، فيضم المبرز في الطاعات إلى مثله، والمتوسط إلى مثله وأهل المعصية إلى مثله، فالتزويج أن يقرن الشيء بمثله، والمعنى أن يضم كل واحد إلى طبقته في الخير والشر
  - ورابعها: يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال } **احشروا الذين ظلموا وأزواجهم**]{ الصافات [22 : قيل فزدناهم من الشياطين
  - وخامسها: قال ابن عباس زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين وسادسها: قرن كل امرىء بشيعته اليهودي باليهودي والنصراني بالنصراني، وقد ورد في خبر مرفوع
  - وسابعها: قال الزجاج: قرنت النفوس بأعمالها. واعلم أنك إذا تأملت في الأقوال التي ذكرناها أمكنك أن تزيد عليها ما شئت.
  - الثامن: قوله تعالى: { وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ }. { بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ }.

فيه مسائل:

- المسألة الأولى: وأديئد مقلوب من آد يئود أوداً ثقل قال تعالى:

}**ولا يؤوده حفظهما**]{ البقرة [255 :أي يثقله؛ لأنه إثقال بالتراب كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد بقاء حياتها ألبسها جبة من صوف أو شعر لترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا بلغت قامتها ستة أشبار فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أقاربها

وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها إلى البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض،

- وقيل: كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنت رمتها في الحفرة، وإذا ولدت ابناً أمسكته، وههنا سؤالان:
  - السؤال الأول: ما الذي حملهم على وأد البنات؟ الجواب: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهم أو الخوف من الإملاق، كما قال تعالى :

}**ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**[{ الإسراء [31 :وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات بالملائكة، وكان صعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فافتخر الفرزدق به في قوله:

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم توأد

  - السؤال الثاني: فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به، وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ الجواب: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها، وهو كتبكيت النصارى في قوله لعيسى:
}**أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق**[{ المائدة : 116].

- المسألة الثانية: قرىء سألت، أي خاصمت عن نفسها، وسألت الله أو قاتلها، وقرىء قتلت بالتشديد، فإن قيل: اللفظ المطابق أن يقال: { سئلت * بأي ذنب قتلت } ومن قرأ سألت فالمطابق أن يقرأ: { بأي ذنب قتلت } فما الوجه في القراءة المشهورة؟ قلنا: الجواب: من وجهين الأول: تقدير الآية: وإذا الموؤودة سئلت (أي سئل) الوائدون عن أحوالها بأي ذنب قتلت والثاني: أن الإنسان قد يسأل عن حال نفسه عند المعاينة بلفظ المغايبة، كما إذا أردت أن تسأل زيداً عن حال من أحواله، فتقول: ماذا فعل زيد في ذلك المعنى؟ ويكون زيد هو المسئول، وهو المسئول عنه، فكذا ههنا. التاسع: قوله تعالى } :وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ {. قرىء بالتخفيف والتشديد يريد صحف الأعمال تطوى صحيفة الإنسان عند موته، ثم تنشر إذا حوسب، ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها، أي فرقت بينهم. العاشر: قوله تعالى: { وَإِذَا السَّمَآءُ كُشِطَتْ }. أي كشفت وأزيلت عما فوقها، وهو الجنة وعرش الله، كما يكشط الإهاب عن الذبيحة، والغطاء عن الشيء، وقرأ ابن مسعود: قشطت، واعتقاب القاف والكاف كثير، يقال لبكت الثريد ولبقته، والكافور والقافور. قال الفراء :نزعت فطويت. الحادي عشر: قوله تعالى: { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ }. أوقدت إيقاداً شديداً وقرىء سعرت

بالتشديد للمبالغة، قيل: سعرها غضب الله، وخطايا بني آدم، واحتج بهذه الآية من قال: النار غير مخلوقة الآن، قالوا :لأنها تدل على أن تسعيرها معلق بيوم القيامة. الثاني عشر: قوله تعالى } :وَإِذَا الجنةُ أُزْلِفتْ {. أي أدنيت من المتقين، كقوله: { وأزلفت الجنة للمتقين .}

ولما ذكر الله تعالى هذه الأمور الإثني عشر ذكر الجزاء المرتب على الشروط الذي هو مجموع هذه الأشياء فقال: { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ }. ومن المعلوم أن العمل لا يمكن إحضاره، فالمراد إذن ما أحضرته في صحائفها، وما أحضرته عند المحاسبة، وعند الميزان من آثار تلك الأعمال، والمراد: ما أحضرت من استحقاق الجنة والنار فإن قيل كل نفس تعلم ما أحضرت، لقوله:
{ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً** }[آل عمران: 30] فما معنى قوله:
{ علمت نفس }؟ قلنا: الجواب: من وجهين الأول: أن هذا هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط، وإن كان اللفظ موضوعاً للقليل، ومنه قوله تعالى:
{ **ربما يود الذين كفروا** }[الحجر: 2] كمن يسأل فاضلاً مسألة ظاهرة ويقول: هل عندك فيها شيء؟ فيقول: ربما حضر شيء وغرضه الإشارة إلى أن عنده في تلك المسألة ما لا يقول به غيره. فكذا ههنا الثاني: لعل الكفار كانوا يتعبون أنفسهم في الأشياء التي يعتقدونها طاعات ثم بدا لهم يوم القيامة خلاف ذلك فهو المراد من هذه الآية.

قوله تعالى: { فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ }. { الْجَوَارِ الْكُنَّسِ }. الكلام في قوله: { لاَ أُقْسِمُ } قد تقدم في قوله:
{ **لاَ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ** }[القيامة: 1]،
{ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } فيه قولان:

- الأول: وهو المشهور الظاهرة أنها النجوم الخنس جمع خانس، والخنوس والانقباض والاستخفاء تقول: خنس من بين القوم وانخنس، وفي الحديث **" الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر الله خنس "** أي انقبض ولذلك سمي الخناس
- { والكنس } جمع كانس وكانسة يقال: كنس إذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال كنس الظباء في كنسها، وتكنست المرأة إذا دخلت هودجها تشبه بالظبي إذا دخل الكناس. ثم اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه فالقول الأظهر:

- أن ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيارة واستقامتها فرجوعها هو الخنوس وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شك أن هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة
- القول الثاني: ما روي عن علي عليه السلام وعطاء ومقاتل وقتادة أنها هي جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها
- والقول الثالث: أن السبعة السيارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى:

{ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ }[المعارج: 40] ولا شك أن فيها مطلعاً واحداً ومغرباً واحداً هما أقرب المطالع والمغارب إلى سمت رؤوسنا، ثم إنها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة، ثم ترجع إليه فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع، وكنوسها عبارة عن عودها إليه، فهذا محتمل فعلى القول الأول يكون القسم واقعاً بالخمسة المتحيرة، وعلى القول الثاني يكون القسم واقعاً بجميع الكواكب وعلى هذا الاحتمال الذي ذكرته يكون القسم واقعاً بالسبعة السيارة، والله أعلم بمراده.

والقول الثاني: أن { ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } وهو قول ابن مسعود والنخعي أنها بقر الوحش، وقال سعيد بن جبير: هي الظباء، وعلى هذا الخنس من الخنس في الأنف وهو تقعير في الأنف فإن البقر والظباء أنوفها على هذه الصفة { والكنس } جمع كانس وهي التي تدخل الكناس والقول هو الأول، والدليل عليه أمران:

17

{وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ}

وهذا بالنجوم أليق منه ببقر الوحش.

الثاني: أن محل قسم الله كلما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى، ولا شك أن الكواكب أعلى رتبة من بقر الوحش.

الثالث: أن (الخنس) جمع خانس من الخنوس، وإما جمع خنساء وأخنس من الخنس خنس بالسكون والتخفيف، ولا يقال: الخنس فيه بالتشديد إلا أن يجعل الخنس في الوحشية أيضاً من الخنوس وهو اختفاؤها في الكناس إذا غابت عن الأعين.

قوله تعالى: { وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } ذكر أهل اللغة أن عسعس من الأضداد، يقال: عسعس الليل إذا أقبل، وعسعس إذا أدبر، وأنشدوا في ورودها بمعنى أدبر قول العجاج:

حتى إذا الصبح لها   وانجاب عنها ليلها

تنفساً وعسعسا

وأنشد أبو عبيدة في معنى أقبل:

مدرجات الليل لما عسعسا

{وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ}

ثم منهم من قال: المراد ههنا أقبل الليل، لأن على هذا التقدير يكون القسم واقعاً بإقبال الليل وهو قوله: { إِذَا عَسْعَسَ } وبإدباره أيضاً وهو قوله: { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } ومنهم من قال: بل المراد أدبر وقوله: { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } أي امتد ضوءه وتكامل فقوله:

{ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ }[التكوير: 17] إشارة إلى أول طلوع الصبح، وهو مثل قوله:

{ وَٱلَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ }

[المدثر: 34,33] وقوله: { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } إشارة إلى تكامل طلوع الصبح فلا يكون فيه تكرار.

وأما قوله تعالى: { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } أي إذا أسفر كقوله:

{ وَٱلصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ }

[المدثر: 34] ثم في كيفية المجاز قولان:

أحدهما: أنه إذا أقبل الصبح أقبل بأقباله روح ونسيم، فجعل ذلك نفساً له على المجاز، وقيل تنفس الصبح.

والثاني: أنه شبه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي جلس بحيث لا يتحرك، واجتمع الحزن في قلبه، فإذا تنفس وجد راحة. فههنا لما طلع الصبح فكأنه تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس وهو استعارة لطيفة. واعلم أنه تعالى لما ذكر المقسم به أتبعه بذكر المقسم عليه فقال:

{إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} وفيه قولان:

الأول: وهو المشهور أن المراد أن القرآن نزل به جبريل: فإن قيل: ههنا إشكال قوي وهو أنه حلف أنه قول جبريل، فوجب علينا أن نصدقه في ذلك، فإن لم نقطع بوجوب حمل اللفظ على الظاهر، فلا أقل من الاحتمال، وإذا كان الأمر كذلك ثبت أن هذا القرآن يحتمل أن يكون كلام جبريل لا كلام الله، وبتقدير أن يكون كلام جبريل يخرج عن كونه معجزاً، لاحتمال أن جبريل ألقاه إلى محمد صلى الله عليه وسلم على سبيل الإضلال، ولا يمكن أن يجاب عنه بأن جبريل معصوم لا يفعل الإضلال، لأن العلم بعصمة جبريل، مستفاد من صدق النبي، وصدق النبي مفرع على كون القرآن معجزاً، وكون القرآن معجزاً يتفرع على عصمة جبريل، فيلزم

الدور وهو محال والجواب: الذين قالوا: بأن القرآن إنما كان معجزاً للصرفة، إنما ذهبوا إلى ذلك المذهب فراراً من هذا السؤال، لأن الإعجاز على ذلك القول ليس في الفصاحة، بل في سلب تلك العلوم والدواعي عن القلوب، وذلك مما لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى.

القول الثاني: أن هذا الذي أخبركم به محمد من أمر الساعة على ما ذكر في هذه السورة ليس بكهانة ولا ظن ولا افتعال، إنما هو قول جبريل أتاه به وحياً من عند الله تعالى، واعلم أنه تعالى وصف جبريل ههنا بصفات ست أولها: أنه رسول ولا شك أنه رسول الله إلى الأنبياء فهو رسول وجميع الأنبياء أمته، وهو المراد من قوله:
{ **يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰئِكَةَ بِٱلْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ** }
[النحل: 2] وقال:
{ **نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ** }[الشعراء: 194,193] وثانيها: أنه كريم، ومن كرمه أنه يعطي أفضل العطايا، وهو المعرفة والهداية والإرشاد.

{ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ**}**

وثالثها: قوله: { ذِى قُوَّةٍ } ثم منهم من حمله على الشدة، روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لجبريل **" ذكر الله قوتك، فماذا بلغت؟ قال رفعت قريات قوم لوط الأربع على قوادم جناحي حتى إذا سمع أهل السماء نباح الكلاب وأصوات الدجاج قلبتها "** وذكر مقاتل أن شيطاناً يقال له الأبيض صاحب الأنبياء قصد أن يفتن النبي صلى الله عليه وسلم فدفعه جبريل دفعة رقيقة وقع بها من مكة إلى أقصى الهند، ومنهم من حمله على القوة في أداء طاعة الله وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف، وعلى القوة في معرفة الله وفي مطالعة جلال الله.

ورابعها: قوله تعالى: { عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ } وهذه العندية ليست عندية المكان، مثل قوله:
{ **وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ** }
[الأنبياء: 19] وليست عندية الجهة بدليل قوله «أنا عند المنكسرة قلوبهم» بل عندية الإكرام والتشريف والتعظيم. وأما { مَّكِينٍ } فقال الكسائي: يقال قد مكن فلان عند فلان بضم الكاف مكناً ومكانة، فعلى هذا المكين هو ذو الجاه الذي يعطي ما يسأل.

{ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ }

وخامسها: قوله تعالى: { مُّطَـاعٍ ثَمَّ } اعلم أن قوله: { ثُمَّ } إشارة إلى الظرف المذكور أعني
{ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ }
[التكوير: 20] والمعنى أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه، وقرىء { ثَمَّ } تعظيماً للأمانة وبياناً لأنها أفضل صفاته المعدودة.

وسادسها: قوله: { أَمِينٍ } أي هو { أَمِينٍ } على وحي الله ورسالاته، قد عصمه الله من الخيانة والزلل.

22

{وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ **}** * **{** وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ **}** * **{** وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ**24}**

ثم قال تعالى: { وَمَا صَـاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } واحتج بهذه الآية من فضل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم فقال: إنك إذا وازنت بين قوله:
{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَـاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ }
[التكوير: 19,21] وبين قوله: { وَمَا صَـاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } ظهر التفاوت العظيم: { وَلَقَدْ رَءاهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } يعني حيث تطلع الشمس في قول الجميع، وهذا مفسر في سورة النجم { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } أي وما محمد على الغيب بظنين والغيب ههنا القرآن وما فيه من الأنباء والقصص والظنين المتهم يقال: ظننت زيدا في معنى اتهمته، وليس من الظن الذي يتعدى إلى مفعولين، والمعنى ما محمد على القرآن بمتهم أي هو ثقة فيما يؤدي عن الله، ومن قرأ بالضاد فهو من البخل يقال ضننت به أضن أي بخلت، والمعنى ليس ببخيل فيما أنزل الله، قال الفراء: يأتيه غيب السماء، وهو شيء نفيس فلا يبخل به عليكم، وقال أبو علي الفارسي: المعنى أنه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ذلك ويمتنع من إعلامه حتى يأخذ عليه حلواناً، واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لوجهين: أحدهما: أن الكفار لم يبخلوه، وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل وثانيها: قوله: { عَلَى ٱلْغَيْبِ } ولو كان المراد البخل لقال بالغيب لأنه يقال: فلان ضنين بكذا وقلما يقال على كذا.

25

{وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ**}**

كان أهل مكة يقولون: إن هذا القرآن يجيء به شيطان فيلقيه على لسانه، فنفى الله ذلك، فإن قيل القول بصحة النبوة موقوف على نفي هذا الاحتمال، فكيف يمكن نفي

هذا الاحتمال بالدليل السمعي؟ { قُلْنَا } بينا أن على القول بالصرفة لا تتوقف صحة النبوة على نفي هذا الاحتمال، فلا جرم يمكن نفي هذا الاحتمال بالدليل السمعي.
26

فَأيْنَ تَذْهَبُونَ{

وهذا استضلال لهم يقال لتارك الجادة اعتسافاً، أين تذهب؟ مثلت حالهم بحالة في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل، والمعنى أي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم، قال الفراء: العرب تقول إلى أين تذهب وأين تذهب، وتقول ذهبت الشام وانطلقت السوق، واحتج أهل الاعتزال بهذه الآية وجهه ظاهر. ثم بين أن القرآن ما هو، فقال:
27

}إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ{

أي هو بيان وهداية للخلق أجمعين.
28

}لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ{

ثم قال: { لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } وهو بدل من العالمين، والتقدير: إن هو إلا ذكر لمن شاء منكم أن يستقيم، وفائدة هذا الإبدال أن الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر، فكأنه لم يوعظ به غيرهم، والمعنى أن القرآن إنما ينتفع به من شاء أن يستقيم، ثم بين أن مشيئة الاستقامة موقوفة على مشيئة الله. فقال تعالى:
29

}وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ{

أي إلا أن يشاء الله تعالى أن يعطيه تلك المشيئة، لأن فعل تلك المشيئة صفة محدثة فلا بد في حدوثها من مشيئة أخرى فيظهر من مجموع هذه الآيات أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة. وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة، والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء، فأفعال العباد في طرفي ثبوتها وانتفائها، موقوفة على مشيئة الله وهذا هو قول أصحابنا، وقول بعض المعتزلة إن هذه الآية مخصوصة بمشيئة القهر والإلجاء

ضعيف لأنا بينا أن المشيئة الاختيارية شيء حادث، فلا بد له من محدث فيتوقف حدوثها على أن يشاء محدثها إيجادها، وحينئذ يعود الإلزام، والله أعلم بالصواب.

تفسير الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي (ت 671 هـ)

{ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } * { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } * { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } * { بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } * { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } * { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ }

قوله تعالى: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } قال ٱبن عباس: تكويرها: إدخالها في العرش. والحسن: ذهاب ضوئها. وقاله قتادة ومجاهد: وروي عن ٱبن عباس أيضاً. سعيد بن جُبير: عُوِّرَتْ. أبو عبيدة: كورت مثل تكوير العمامة، تلف فتمحي. وقال الربيع بن خيثم: «كورت» رمُي بها؛ ومنه: كوّرته فتكوّر، أي سقط.

قلت: وأصل التكوير: الجمع، مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها أي لاثها وجمعها فهي تُكَوَّر ويمحي ضوءها، ثم يُرمْى بها في البحر. والله أعلم.
وعن أبي صالح: كوّرت: نكِّستْ. { وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } أي تهافتت وتناثرت.
وقال أبو عبيدة: ٱنصبَّت كما تنصَبّ العُقاب إذا ٱنكسرت. قال العجّاج يصف صقراً:

أبصرَ خِربان فضاء فانكدر   تقضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَر

ورَوَى أبو صالح عن ٱبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يَبقى في السماء يومئذ نجم إلا سقط في الأرض، حتى يفزَعَ أهل الأرض السابعة مما لَقِيت وأصاب العليا " ، يعني الأرض. وروى الضحاك عن ٱبن عباس قال: تساقطت؛ وذلك أنها قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور، وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور، فإذا جاءت النفخة الأولى مات من في الأرض ومن في السموات، فتناثرت تلك الكواكب وتساقطت السلاسل من أيدي الملائكة؛ لأنه مات من كان يمسكها. ويحتمل أن يكون ٱنكدارها طَمْس آثارها. وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوئها. وعن ٱبن عباس أيضاً: ٱنكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن أماكنها. والمعنى متقارب. { وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } يعني قُلِعت من الأرض، وسيرت في الهواء؛ وهو مثل قوله تعالى:
{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً }
[الكهف: 47]. وقيل سيرُها تحوّلها عن منزلة الحجارة، فتكون كثيباً مَهيلا، أي رملاً سائلاً، وتكون كالعِهن، وتكون هباء منثوراً، وتكون سَراباً، مثل السراب الذي ليس بشيء. وعادت الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا. وقد تقدم في

غير موضع والحمد لله. { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } أي النوق الحوامل التي في بطونها أولادها؛ الواحدة عُشَراء، أو التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، ثم لا يزال ذلك ٱسمها حتى تضع، وبعد ما تضع أيضاً. ومن عادة العرب أن يسمُّوا الشيء باسمه المتقدّم وإن كان قد جاوز ذلك؛ يقول الرجل لفرسه وقد قَرِح: هاتوا مُهْري، يسميه بمتقدّم ٱسمه؛ قال عنترة:

لا تذكري مُهْرِي وما أطعمتُه   فيكونَ جِلدُكِ مثلَ جِلدِ الأجرب

وقال أيضاً:

وحَمَلْتُ مُهرِي وسْطَها فمضاها

وإنما خص العِشار بالذكر، لأنها أعز ما تكون على العرب، وليس يُعَطلها أهلها إلا حال القيامة. وهذا على وجه المثل؛ لأن في القيامة لا تكون ناقة عُشَرَاءَ، ولكن أراد به المثل؛ أن هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عُشَراءُ لعطَّلها وٱشتغل بنفسه، وقيل: إنهم إذا قاموا من قبورهم، وشاهد بعضهم بعضاً، ورأوا الوُحوش والدوابّ محشورة، وفيها عِشارهم التي كانت أنفس أموالهم، لم يعبئوا بها، ولم يهمَّهم أمرُها.

وخُوطبت العرب بأمر العِشار؛ لأن ما لها وعيشها أكثره من الإبل. ورُوِي الضحاك عن ٱبن عباس: عُطِّلت: عَطَّلها أهلها، لاشتغالهم بأنفسهم. وقال الأعشى:

هو الواهِبُ المائةَ المصطفا   ةَ إما مَخاضاً وإما عِشارَا

وقال آخر:

ترى المرءَ مهجوراً إذا قلَّ مالهُ   وبيتُ الغِنى يُهْدَى له ويُزارُ
وما ينفعُ الزوّارَ مالُ مَزُورِهِم   إذا سَرَحَتْ شَوْلٌ له وعِشارُ

يقال: ناقة عُشَراء، وناقتان عُشَراوان، ونوق عِشارٌ وعُشَراوات، يبدلون من همزة التأنيث واواً. وقد عَشَّرت الناقة تعشيراً: أي صارت عُشَراء. وقيل: العِشار: السحاب يُعَطَّل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر؛ والعرب تشبه السحاب بالحامل. وقيل: الديار تُعَطَّل فلا تُسكن. وقيل: الأرض التي يُعَشَّر زرْعها تعطل فلا تزرع. والأوّل أشهر، وعليه من الناس الأكثر. { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } أي جمعتْ والحشر: الجمع. عن الحسن وقتادة وغيرهما. وقال ٱبن عباس: حَشْرها: موتها. رواه عنه عِكرمة. وحَشْر كل شيء: الموت غيرَ الجن والإنس، فإنهما يُوافيان يوم القيامة. وعن ٱبن عباس أيضاً قال: يُحْشَر كل شيء حتى الذُّباب. قال ٱبن عباس: تحشر الوحوش غداً: أي تجمع حتى يُقتصَّ لبعضها من بعض، فيقتصَّ للجَمّاء من القَرْناء، ثم يقال لها كوني تراباً فتموت. وهذا أصح مما رواه عنه عِكرمة، وقد بيناه في كتاب «التذكرة» مستوفى، ومضى في سورة «الأنعام» بعضُه. أي إن الوحوش إذا كانت

هذه حالها فكيف ببني آدم. وقيل: عُنِي بهذا أنها مع نُفْرتها اليوم من الناس وتنددها في الصحارَى، تنضم غداً إلى الناس من أهوال ذلك اليوم. قال معناه أبيُّ بن كعب.
{ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } أي ملئت من الماء؛ والعرب تقول: سَجَرت الحوضَ أَسَجِّره سَجْرا: إذا ملأته، وهو مسجور، والمسجور والساجر في اللغة: الملآن. وروى الربيع بن خيثم: سُجِّرت: فاضت ومُلئت. وقاله الكلبيّ ومقاتل والحسن والضحاك. قال ٱبن أبي زَمْنين: سُجِّرت: حقيقته مُلِئت، فيفِيض بعضها إلى بعض، فتصير شيئاً واحداً. وهو معنى قول الحسن. وقيل: أرسِل عَذْبها على مالحها، ومالحها على عذبها، حتى ٱمتلأت. عن الضحاك ومجاهد: أي فُجرت فصارت بحراً واحداً. القشيريّ: وذلك بأن يرفع الله الحاجز الذي ذكره في قوله تعالى:
{ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ }
[الرحمن: 20]، فإذا رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار، فعمت الأرض كلها، وصارت البحار بحراً واحداً. وقيل: صارت بحراً واحداً من الحميم لأهل النار. وعن الحسن أيضاً وقتادة وٱبن حيان: تيبس فلا يبقى من مائها قطرة. القُشَيْريّ: وهو من سَجَرْت التنور أَسْجُره سَجْرا: إذا أحميته، وإذا سُلِّط عليه الإيقاد نشف ما فيه من الرطوبة، وتُسَيَّر الجبال حينئذ، وتصير البحار والأرض كلها بساطاً واحداً، بأن يُمْلأ مكان البحار بتراب الجبال.

وقال النحاس: وقد تكون الأقوال متفقة؛ يكون تيبس من الماء بعد أن يفيض، بعضها إلى بعض، فتقلَب ناراً.

قلت: ثم تُسَيَّر الجبال حينئذ، كما ذكر القشيري، والله أعلم. وقال ٱبن زيد وشَمِر وعطية وسفيان ووهب وعلي بن أبي طالب وٱبن عباس في رواية الضحاك عنه: أُوقدت فصارت ناراً. قال ٱبن عباس: يُكَوِّر الله الشمس والقمر والنجوم في البحر، ثم يبعث الله عليها ريحاً دَبُوراً، فتنفخُه حتى يصير ناراً. وكذا في بعض الحديث: **" يأمر الله جل ثناؤه الشمس والقمر والنجوم فينتثرون في البحر، ثم يبعث الله جل ثناؤه الدَّبور فيسجِّرها ناراً، فتلك نار الله الكبرى، التي يعذب بها الكفار "** قال القشيْري: قيل في تفسير قول ٱبن عباس { سُجِّرَتْ } أوقدت، يحتمل أن تكون جهنم في قُعور من البحار، فهي الآن غير مسْجورة لِقوام الدنيا، فإذا ٱنقضت الدنيا سُجِّرت، فصارت كلها ناراً يدخلها الله أهلها. ويحتمل أن تكون تحت البحر نار، ثم يوقد الله البحر كله فيصير ناراً. وفي الخبَر: البحر نار في نار وقال معاوية بن سعيد: بحر الروم وسْط الأرض، أسفله آبار مُطْبقة بنُحاس يُسَجَّر ناراً يوم القيامة. وقيل: تكون الشمس في البحر، فيكون البحر ناراً بحر الشمس. ثم جميع ما في هذه الآيات يجوز أن يكون في الدنيا قبل يوم القيامة ويكون من أشراطها، ويجوز أن يكون يوم القيامة، وما بعد هذه الآيات فيكون في يوم القيامة.

قلت: رُوِي عن عبد الله بن عمرو: لا يتوضأ بماء البحر لأنه طَبَق جَهَنم. وقال أبيّ بن كعب: ست آيات من قَبْل يوم القيامة: بينما الناس في أسواقهم ذهب ضوء الشمس وبدت النجوم فتحيروا ودُهِشوا، فبينما هم كذلك ينظرون إذ تناثرت النجوم وتساقطت، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض، فتحرّكت واضطربت واحترقت، فصارت هباء منثوراً، ففزعت الإنس إلى الجنّ والجنّ إلى الإنس، واختلطت الدوابُّ والوحوش والهوامُّ والطير، وماج بعضها في بعض؛ فذلك قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } ثم قالت الجنّ للإنس: نحن نأتيكم بالخبر، فانطلقوا إلى البحار فإذا هي نار تأجَّج، فبينما هم كذلك تصدَّعتِ الأرض صَدْعة واحدة إلى الأرض السابعة السُّفلَى، وإلى السماء السابعة العليا، فبينما هم كذلك إذا جاءتهم ريح فأماتتهم. وقيل: معنى «سُجِّرت»: هو حُمْرة مائها، حتى تصير كالدم؛ مأخوذ من قولهم: عين سَجْراء: أي حمراء. وقرأ ابن كثير «سُجِرَت» وأبو عمرو أيضاً، إخباراً عن حالها مرة واحدة. وقرأ الباقون بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرير ذلك منها مرة بعد أخرى.

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ }
قال النعمان بن بشير: قال النبي صلى الله عليه وسلم **" وإذا النفوس زُوّجت "** قال: **" يُقْرَن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله "**

وقال عمر بن الخطاب:
- يُقْرَن الفاجر مع الفاجر،
- ويقرن الصالح مع الصالح.

وقال ابن عباس: ذلك حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة،
- السابقون زوج - يعني صنفاً -
- وأصحاب اليمين زوج،
- وأصحاب الشمال زوج.

وعنه أيضاً قال:
- زُوّجت نفوس المؤمنين بالحُور العين،
- وقُرن الكافر بالشياطين،
- وكذلك المنافقون.

وعنه أيضاً:
- قُرِن كل شكل بشكله من أهل الجنة وأهل النار،

- فيضم المَبرِّز في الطاعة إلى مثله،
- والمتوسط إلى مثله،
- وأهل المعصية إلى مثله؛
- فالتزويج أن يُقرن الشيء بمثله؛
- والمعنى: وإذا النفوس قُرنت إلى أشكالها في الجنة والنار.

وقيل: يضم كل رجل إلى من كان يلزمه من مَلِك وسطلان، كما قال تعالى: { ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ }. وقال عبد الرحمن بن زيد: جُعلوا أزواجاً على أشباه أعمالهم ليس بتزويج، أصحاب اليمين زوج، وأصحاب الشمال زوج، والسابقون زوج؛

وقد قال جل ثناؤه:
{ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ }[الصافات: 22] أي أشكالهم.
وقال عِكرمة: { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } قرنت الأرواح بالأجساد؛ أي ردت إليها.
وقال الحسن: ألحق كل امرىء بشيعته: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد شيئاً من دون الله يُلْحَق بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقين، والمؤمنون بالمؤمنين. وقيل: يُقْرَن الغاوي بمن أغواه من شيطان أو إنسان، على جهة البغض والعداوة، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين. وقيل: قُرِنت النفوس بأعمالها، فصارت لاختصاصها به كالتزويج.

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } الموءودة المقتولة؛ وهي الجارية تدفن وهي حية، سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب، فيؤودها أي يثقلها حتى تموت؛ ومنه قوله تعالى: { وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا } أي لا يثقله؛ وقال متمم بن نُويرة:

ومَوءودة مَقبورة فِي مَفازةٍ بآمتِها مَوْسودة لم تُمَهّد

وكانوا يدفنون بناتهم أحياء لخصلتين؛ إحداهما كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله، فألحقوا البنات به. الثانية إما مخافة الحاجة والإملاق، وإما خوفاً من السبيْ والاسترقاق. وقد مضى في سورة «النحل» هذا المعنى، عند قوله تعالى:
{ أَمْ يَدُسُّهُ فِي ٱلتُّرَابِ }[النحل: 59] مستوفًى.
وقد كان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا، ويمنعون منه، حتى ٱفتخر به ٱلفرزدق، فقال:

ومِنّا الّذي منعَ الوائِداتِ فأحيا الوِئيد فلم يُوأدِ

يعني جدّه صعصعة كان يشتريهن من آبائهن، فجاء الإسلام وقد أحيا سبعين موءودة. وقال ابن عباس: كانت المرأة في الجاهلية إذا حملت حفرت حفرة، وتمخضت على رأسها، فإن ولدت جارية رمت بها في الحفرة، وردّتِ التراب عليها، وإن ولدت غلاماً حبسته، ومنه قول الراجز:

سَمَّيْتها إذ وُلِدتْ تموتُ   والقبرُ صِهرٌ ضامِنٌ زِمِّيتُ

الزِّميت الوقور، والزميت مثال الفِسيق أوقر من الزِّمِيتِ، وفلان أزمت الناس أي أوقرهم، وما أشد تَزَمته؛ عن الفراء. وقال قتادة: كانت الجاهلية يقتل أحدهم ابنته، ويغذو كلبه، فعاتبهم الله على ذلك، وتوعدهم بقوله: «وإِذا الموءودة سئِلت» قال عمر في قوله تعالى { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } قال:

" جاء قيس ابن عاصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! إني وأدت ثمانَ بنات كنّ لي في الجاهلية، قال: «فأعتِق عن كل واحدة منهن رقبة» قال: يا رسول الله إني صاحب إبل، قال: «فأهْدِ عن كل واحدة منهنّ بَدَنة إن شئت»

" وقوله تعالى: «سُئِلت» سؤال الموءودة سُؤال توبيخ لقاتلها، كما يقال للطفل إذا ضُرِب: لم ضُرِبت؟ وما ذنبك؟ قال الحسن: أراد الله أن يُوبِّخ قاتلها؛ لأنها قُتِلت بغير ذنب. وقال ابن أسلم: بأي ذنب ضُرِبت، وكانوا يُضربونها. وذكر بعض أهل العلم في قوله تعالى «سئلت» قال: طُلِبت؛ كأنه يريد كما يُطلب بدم القتيل. قال: وهو كقوله:

{ **وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْئُولاً** }

[الأحزاب: 15] أي مطلوباً. فكأنها طُلِبت منهم، فقيل أين أولادكم؟! وقرأ الضحاك وأبو الضُّحا عن جابر بن زيد وأبي صالح «وإِذا الموءودة سَألت» فتتعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأيّ ذنب قتلتني؟! فلا يكون له عذر؛ قاله ابن عباس وكان يقرأ { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سألت } وكذلك هو في مصحف أُبيّ. وروى عِكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" إن المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقاً ولدُها بثدييها، ملطخاً بدمائه، فيقول يا ربّ، هذه أمي، وهذه قتلتني "**

والقول الأوّل عليه الجمهور، وهو مثل قوله تعالى لعيسى:

{ **أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ** }

[المائدة: 116]، على جهة التوبيخ والتبكيت لهم، فكذلك سؤال الموءودة توبيخ لوائدها، وهو أبلغ من سؤالها عن قتلها؛ لأن هذا مما لا يصح إلا بذنب، فبأيّ ذنب كان ذلك، فإذا ظهر أنه لا ذنب لها، كان أعظم في البلية وظهور الحجة على قاتلها. والله أعلم. وقريء «قُتِّلت» بالتشديد، وفيه دليل بين على أن أطفال المشركين لا يُعَذَّبون، وعلى أن التعذيب لا يُستَحقّ إلا بذنب.

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } أي فُتحت بعد أن كانت مطوية، والمراد

صحف الأعمال التي كَتَبَت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تُطْوَى بالموت، وتنشر في يوم القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته، فيعلم ما فيها، فيقول:
{ **مَا لِهَـٰذَا ٱلْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا** }[الكهف: 49].
وروَى مَرْثَد بن وَدَاعة قال: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش، فتقع صحيفة المؤمن في يده
{ **فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ** }[الغاشية: 10] إلى قوله:{ **ٱلأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ** }[الحاقة: 24]
وتقع صحيفة الكافر في يده «فِي سَمُومٍ وحَمِيم إلى قوله: ولا كريم».

ورُوِي **" عن أمّ سلمة رضي الله عنها. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُحْشَر الناس يوم القيامة حُفاة عراة» فقلت: يا رسول الله! فكيف بالنساء؟ قال: «شُغِل الناس يا أمَّ سَلَمة». قلت: وما شَغَلَهم؟ قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذرّ ومثاقيل الخردل» "**

وقد مضى في سورة «سُبْحان» قول أبي الثوّار العدَوِيّ: هما نَشْرَتان وطَيَّة، أما ما حييت يا بن آدم فصحيفتك المنشورة، فأملِ فيها ما شئت، فإذا مِت طويت، حتى إذا بُعثت نشِرت
{ **اقرأ كِتابك كفى بنفسِك اليوم عليك حسِيباً** }
[الإسراء: 14]. وقال مقاتل: إذا مات المرء طُوِيت صحيفة عمله، فإذا كان يوم القيامة نُشِرت. وعن عمر رضي الله عنه أنه كان إذا قرأها قال: إليك يساق الأمر يا بن آدم. وقرأ نافع وٱبن عامر وعاصم وأبو عمرو «نُشِرَتْ» مخففة، على نشرت مرة واحدة، لقيام الحجة. الباقون بالتشديد، على تكرار النشر، للمبالغة في تقريع العاصي، وتبشير المطيع. وقيل: لتكرار ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه.

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ }: الكشط: قَلْع عن شدّة التزاق؛ فالسماء تُكْشَط كما يكْشَط الجلد عن الكبش وغيره، والقَشْط: لغة فيه. وفي قراءة عبد الله { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ قُشِطَت } وكَشَطْتُ البعير كشطاً: نزعت جلده، ولا يقال سَلَخْته؛ لأن العرب لا تقول في البعير إلا كَشَطْته أو جَلَّدته، وٱنكشط: أي ذهب؛ فالسماء تُنْزَع من مكانها كما ينزع الغِطاء عن الشيء. وقيل: تُطْوَى كما قال تعالى: { يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ } ، فكأن المعنى: قلِعت فطويت. والله أعلم.

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } أي أوقدت فأُضْرِمت للكفار وزيدَ في إحمائها. يقال: سَعَّرْتُ النار وأسعرتها. وقراءة العامة بالتخفيف من السعير. وقرأ نَافع وٱبن ذَكوانَ ورُوَيْس بالتشديد؛ لأنها أوقدت مرة بعد مرة. قال قتادة: سَعَّرها غضب الله

وخطايا بني آدم. وفي الترمذِيّ عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **" أوقد على النار ألفَ سنة حتى ٱحمرت، ثم أوقد عليها ألفَ سنةٍ حتى ٱبيضَّت، ثم أوقد عليها ألفَ سنة حتى ٱسودَّت، فهي سوداء مُظلمة "** ورُوِي موقوفاً.

قوله تعالى: { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } أي دَنَتْ وقُرِّبت من المتقين. قال الحسن: إنهم يُقَرَّبون منها؛ لا أنها تزول عن موضعها. وكان عبد الرحمن بن زيد يقول: زُينت: أزْلِفَتْ؟ والزلفي في كلام العرب: القُربة؛ قال الله تعالى:
{ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ }
[الشعراء: 90] وتزلف فلان تقرب.

قوله تعالى: { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ } يعني ما عملت من خير وشر. وهذا جواب { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } وما بعدها. قال عمر رضي الله عنه لهذا أُجري الحديث. ورُوِيَ عن ٱبن عباس وعمر رضي الله عنهما أنهما قرآها، فلما بلغا «علِمت نفس ما أحْضَرَت» قالا لهذا أجريت القصة؛ فالمعنى على هذا إذا الشمس كورت وكانت هذه الأشياء، علمت نفس ما أحضرت من عملها. وفي الصحيحين عن عديّ بن حاتم قال. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله ما بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدّمه وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم بين يديه، فتستقبله النار، فمن ٱستطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل "** وقال الحسن: «إذِ الشمس كورت» قسم وقع على قوله: «علِمت نفس ما أحضرت» كما يقال: إذا نفَرَ زيد نفر عمرو. والقول الأوّل أصح. وقال ٱبن زيد عن ٱبن عباس في قوله تعالى: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } إلى قوله: { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } ٱثنتا عشرة خصلة: ستة في الدنيا، وستة في الآخرة؛ وقد بينا الستة الأولى بقول أبيّ بن كعب.

{ فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ **}** * **{** ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ **}** * **{** وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ **}** * **{** وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ **}** * **{** إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ **}** * **{** ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ **}** * **{** مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ **}** * **{** وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**}**

قوله تعالى: { فَلاَ أُقْسِمُ } أي أقسم، و «لا» زائدة، كما تقدّم. { بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } هي الكواكب الخمسة الدَّرارِيّ: زُحَل والمُشترِي وعُطارِد والمِرّيخُ والزُّهَرة، فيما ذكر أهل التفسير. والله أعلم. وهو مَرويّ عن عليّ كرم الله وجهه. وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان: أحدهما ـ لأنها تَستقبل الشمس؛ قاله بكر بن عبد الله المُزَني. الثاني ـ لأنها تقطع المجرّة؛ قاله ٱبن عباس. وقال الحسن وقتادة: هي النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، وقاله عليّ رضي الله

عنه، قال: هي النجوم تخنِس بالنهار، وتظهر بالليل؛ وتكنِس في وقت غروبها؛ أي تتأخر عن البَصر لخفائها، فلا تُرَى. وفي الصحاح: و «الْخُنَّس»: الكواكب كلها. لأنها تخنِس في المغيب، أو لأنها تخنِس نهاراً. ويقال: هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة. وقال الفراء في قوله تعالى: { فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ }: إنها النجوم الخمسة؛ زُحل والمشترِي والمِرّيخ والزُّهَرة وعطارد؛ لأنها تَخنِس في مجراها، وتَكْنِس، أي تستتر كما تكنِس الظباء في المغار، وهو الكناس. ويقال: سميت خُنَّسا لتأخرها، لأنها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم، يقال: خَنَس عنه يَخْنُس بالضم خنوساً: تأخر، وأخنسه غيره: إذا خلّفه ومضى عنه. والخَنَس تأخر الأنف عن الوجه مع ٱرتفاع قليل في الأرنبة، والرجل أخنس، والمرأة خنساء، والبقر كلها خُنْس. وقد روي عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: { فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ } هي بقر الوحش. روي هُشَيم عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شُرَحبيل قال قال لي عبد الله ابن مسعود: إنكم قوم عرب فما الخنس؟ قلت: هي بقر الوحش؛ قال: وأنا أرى ذلك. وقاله إبراهيم وجابر بن عبد الله. وروي عن ٱبن عباس: إنما أقسم الله ببقر الوحش. وروي عنه عِكرمة قال: «الخُنَّس»: البقر و «الكنَّس»: هي الظباء، فهي خُنَّس إذا رأين الإنسان خَنَسْنَ وٱنقبضن وتأخرن ودخلن كِناسهنّ. القشيريّ: وقيل على هذا «الخُنَّس» من الخَنَس في الأنف، وهو تأخُر الأرنبة وقصر القَصَبة، وأنوف البقر والظباء خنس. والأصح الحمل على النجوم، لذكر الليل والصبح بعد هذا، فذكر النجوم أليق بذلك.

قلت: لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد، وإن لم يعلم وجه الحكمة في ذلك. وقد جاء عن ٱبن مسعود وجابر بن عبد الله وهما صحابيان والنخعي أنها بقر الوحش. وعن ٱبن عباس وسعيد بن جُبير أنها الظباء. وعن الحجاج بن منذر قال: سألت جابر بن زيد عن الجواري الكُنَّس، فقال: الظباء والبقر، فلا يبعد أن يكون المراد النجوم. وقد قيل: إنها الملائكة؛ حكاه الماورديّ. والكُنَّس الغُيَّب؛ مأخوذة من الكِناس، وهو كِناس الوحش الذي يختفي فيه.

قال أَوس بن حَجَر:

ألم تر أنَّ اللّهَ أنزلَ مُزْنَهُ وعُفْرُ الظباءِ في الكِناس تَقَمَّعُ

وقال طَرَفة:

كأَنْ كِناسَيْ ضالةٍ يَكْنُفانِها وأَطْرَ قِسِيٍّ تحتَ صُلْبٍ مُؤَيَّدِ

وقيل: الكُنوس أن تأوي إلى مكانسها، وهي المواضع التي تأوي إليها الوحش والظباء. قال الأعشى:

فلمَّا أتينا الحي أَتْلَعَ أنَسٌ   كما أَتلَعَتْ تحتَ المكانِس رَبْربُ

يقال: تَلَع. النهار ٱرتفع وأتلعتِ الظبية من كِناسها: أي سَمَت بجيدها. وقال ٱمرُؤ القيس:

تَعَشَّى قليلاً ثم أَنحى ظَلُوفه   يثِير التراب عن مَبِيتٍ ومَكْنِسِ

والكُنَّس: جمع كانِس وكانِسة، وكذا الخُنَّس جمع خانِس وخانِسة. والجواري: جمع جارية من جرى يجري. { وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } قال الفراء: أجمع المفسرون على أن معنى عسعسَ أدبَر؛ حكاه الجوهريّ. وقال بعض أصحابنا: إنه دنا من أوله وأظلم وكذلك السحاب إذا دنا من الأرض. المهدويّ. { وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } أدبر بظلامه؛ عن ٱبن عباس ومجاهد وغيرهما. وروي عنهما أيضاً وعن الحسن وغيره: أقبل بظلامه. زيد بن أسلم: «عسعسَ» ذهب. الفرّاء: العرب تقول عسعس وسَعْسَع إذا لم يبق منه إلا اليسير. الخليل وغيره: عسعس الليل إذا أقبل أو أدبر. المبرد: هو من الأضداد، والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد، وهو ٱبتداء الظلام في أوّله، وإدباره في آخره؛ وقال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبحُ لها تنفّسا   وٱنجابَ عنها ليلُها وعَسْعَسَا

وقال رُؤْبة:

يا هندُ ما أسرعَ ما تَسَعْسَعَا   من بَعْدِ ما كان فَتًى سَرَعْرَعَا

وهذه حجة الفراء. وقال ٱمرؤ القيس:

عَسْعَسَ حتّى لو يشاءُ ٱدَّنا   كانَ لنا من نارِهِ مَقْبِسُ

فهذا يدل على الدنوّ. وقال الحسن ومجاهَد: عَسَعَسَ: أظلم؛ قال الشاعر:

حتى إذا ما ليلُهن عسعسَا   رِكبن من حد الظلامِ حِندِسَا

الماورديّ: وأصل العسّ الامتلاء؛ ومنه قيل للقدح الكبير عُسّ لامتلائه بما فيه، فأطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه؛ وأطلق على إدباره لانتهاء ٱمتلائه على ظلامه؛ لاستكمال ٱمتلائه به. وأما قول ٱمرىء القيس:

أَلمَّا على الربعِ القديم بِعسْعَسَا

فموضع بالبادية. وعسعس أيضاً ٱسم رجل؛ قال الرجز:

وعَسْعَسَ نِعْمَ الفتى تبياه

أي تعتمده. ويقال للذئب العَسْعَس والعَسْعاس والعَسَّاس؛ لأنه يَعُسُّ بالليل ويطلب. ويقال للقنافذ العَسَاعس لكثرة ترددها بالليل. قال أبو عمرو: والتعسعس الشم، وأنشد:

كمنخر الذئبِ إذا تَعَسْعَسَا

والتعسعس أيضاً: طلب الصيد بالليل.

قوله تعالى: { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } أي ٱمتدّ حتى يصير نهاراً واضحاً؛ يقال للنهار إذا زاد: تنفس. وكذلك الموج إذا نضح الماء. ومعنى التنفس: خروج النسيم من الجوف. وقيل: «إذا تنفس» أي ٱنشق وٱنفلق؛ ومنه تنفست القوس أي تصدعت. { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } هذا جواب القسم. والرسول الكريم جبريل؛ قاله الحسن وقتادة والضحاك. والمعنى «إنه لقول رسولٍ» عن الله «كريم» على الله. وأضاف الكلام إلى جبريل عليه السلام، ثم عداه عنه بقوله «تنزيل مِن رب العالمِين» ليعلم أهل التحقيق في التصديق، أن الكلام لله عز وجل.

وقيل: هو محمد عليه الصلاة والسلام { ذِي قُوَّةٍ }: من جعله جبريل فقوّته ظاهرة؛ فروى الضحاك عن ٱبن عباس قال: من قوّته قلعه مدائن قوم لُوط بقوادم جناحه. { عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ } أي عند الله جل ثناؤه { مَكِينٍ } أي ذي منزلة ومكانة؛ فُروي عن أبي صالح قال: يدخل سبعين سُرادِقاً بغيرِ إذن. { مُّطَاعٍ ثَمَّ }: أي في السموات؛ قال ٱبن عباس: من طاعة الملائكة جبريل، أنه لما أُسْرِي برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان: ٱفتح له، ففتح، فدخل ورأى ما فيها، وقال لمالك خازن النار: ٱفتح له جهنم حتى ينظر إليها، فأطاعه وفتح له. { أَمِينٍ } أي مؤتمن على الوحي الذي يجيء به .ومن قال: إن المراد محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى «ذِي قوةٍ» على تبليغ الرسالة «مُطاعٍ» أي يطيعه من أطاع الله جلّ وعزّ. { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } يعني محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون حتى يتهم في قوله. وهو جواب القسم. وقيل: أراد النبي صلى الله صلى الله عليه وسلم أن يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه جلّ وعز فقال: ما ذاك إليّ؛ فأذن له الرب جل ثناؤه، فأتاه وقد سدّ الأفق، فلما نظر إليه النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشياً عليه، فقال المشركون: إنه مجنون، فنزلت: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } وإنما رأى جبريل على صورته فهابه، وورد عليه ما لم تحتمل بِنيته، فخرّ مغشياً عليه.

23

}وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } * { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } * { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } * { فَأيْنَ تَذْهَبُونَ } * { إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } * { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } * { وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ{

قوله تعالى: { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } أي رأى جبريل في صورته، له ستمائة جَناح. { بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } أي بمطلع الشمس من قِبل المَشْرِق؛ لأن هذا الأفق إذا كان منه تطلع الشمس فهو مُبين. أي من جهته تُرَى الأشياء. وقيل: الأفق المبين: أقطار السماء ونواحيها؛ قال الشاعر:

أَخَذْنا بِآفاقِ السماءِ عليكُمُ   لنا قَمراها والنجومُ الطوالِعُ

الماورديّ: فعلى هذا، فيه ثلاثة أقاويل؛ أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقيّ؛ قاله سفيان. الثاني: في أفق السماء الغربيّ، حكاه ٱبن شجرة. الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مَشْرق مكة؛ قاله مجاهد. وحكى الثعلبيّ عن ٱبن عباس، **" قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل: «إني أحبُّ أن أراك في صورتك التي تكون فيها في السماء» قال: لن تقدر على ذلك. قال: «بلى» قال: فأين تشاء أن أتخيل لك؟ قال: «بالأبطح» قال: لا يسعُني. قال: «فبِمِنًى» قال: لا يسعني. قال: «فبعرفات» قال: ذلك بالحرى أن يسعني. فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم للوقت، فإذا هو قد أقبل بخَشْخَشةٍ وكَلْكلة من جبال عَرَفات، قد ملأ ما بين المشرق والمغرب؛ ورأسه في السماء ورجلاه في الأرض، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم خرّ مغشياً عليه، فتحول جبريل في صورته، وضمه إلى صدره. وقال: يا محمد لا تخف؛ فكيف لو رأيت إسرافيل ورأسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة، وإن العرش على كاهله، وإنه ليتضاءل أحياناً من خشية الله، حتى يصير مثل الوَصَع ـ يعني العصفور ـ حتى ما يحمل عرش ربك إلا عظمته "** وقيل: إن محمداً عليه السلام رأى ربه عز وجل بالأفق المبين. وهو معنى قول ٱبن مسعود. وقد مضى القول في هذا في «والنجم» مستوفًى، فتأمله هناك. وفي «المبين» قولان: أحدهما أنه صفة الأفق؛ قاله الربيع. الثاني أنه صفة لمن رآه؛ قاله مجاهد. { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ }: بالظاء، قراءة ٱبن كثير وأبي عمرو والكسائيّ، أي بمتَّهم، والظنة التُّهمَة؛ قال الشاعر:

أما وكِتابِ اللهِ لا عن شناءةٍ   هُجِرتُ ولكِنّ الظنينَ ظَنِينُ

وٱختاره أبو عُبيد؛ لأنهم لم يُبَخِّلوه ولكن كذبوه؛ ولأن الأكثر من كلام العرب: ما هو بكذا، ولا يقولون: ما هو على كذا، إنما يقولون: ما أنت علي هذا بمتَّهم. وقرأ الباقون «بِضَنِينٍ» بالضاد: أي ببخيل من ضَنِنْت بالشيء أضنّ ضِنًّا (فهو) ضنين. فروى ٱبن أبي نجيح عن مجاهد قال: لا يضنّ عليكم بما يعلم، بل يُعَلِّم الخَلْقَ كلام الله وأحكامه. وقال الشاعر:

أجود بِمكنونِ الحديثِ وإنني   بِسِرِّكِ عمن سالني لضَنينُ

والغَيْب: القرآن وخبر السماء. ثم هذا صفة محمد عليه السلام. وقيل: صفة جبريل عليه السلام.

وقيل: بظَنين: بضعيف. حكاه الفراء والمبرد؛ يقال: رجل ظنِين: أي ضعيف. وبئر ظَنونٌ: إذا كانت قليلة الماء؛ قال الأعشى:

ما جُعِلَ الجُدُّ الظَّنونُ الذي   جُنِّبَ صَوْبَ اللجِبِ الماطِرِ

مِثْلَ الفُراتِيِّ إذا ما طما   يقذِف بالبُوصِيِّ والماهِرِ

والظَّنون: الدين الذي لا يدري أيقضيه آخذه أم لا؟ ومنه حديث عليّ عليه السلام في الرجل يكون له الدين الظنون، قال: يزكيه لما مضى إذا قبضه إن كان صادقاً.
والظَّنون: الرجل السيِّيء الخلق؛ فهو لفظ مشترك. { وَمَا هُوَ } يعني القرآن { بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } أي مرجوم ملعون، كما قالت قريش. قال عطاء: يريد بالشيطان الأبيض الذي كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل يريد أن يفتنه.
{ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } قال قتادة: فإلى أين تعدِلون عن هذا القول وعن طاعته. كذا روَى مَعْمر عن قتادة؛ أي أين تذهبون عن كتابي وطاعتي. وقال الزجاج: فأيّ طريقة تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بَيَّنت لكم. ويقال: أين تذهب؟ وإلى أين تذهب؟ وحكى الفراء عن العرب: ذهبت الشامَ وخرجت العراقَ وٱنطلقت السوقَ: أي إليها. قال: سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة؛ وأنشد بعض بني عُقَيل:

تصِيح بنا حنيفةَ إذْ رأتنا وأيَّ الأرضِ تذهبُ بالصياحِ

يريد إلى أي أرض تذهب، فحذف إلى. وقال الجنيد: معنى الآية مقرون بآية أخرى، وهي قوله تعالى:
{ **وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ** }[الحجر: 21] المعنى: أيَّ طريق تسلكون أبينَ من الطريق الذي بينه الله لكم. وهذا معنى قول الزجاج. { إِنْ هُوَ } يعني القرآن { إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } أي مَوْعظة وزَجْر. و «إنْ» بمعنى «ما». وقيل: ما محمد إلا ذِكر. { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } أي يتبع الحق ويقيم عليه. وقال أبو هريرة وسليمان بن موسى: لما نزلت { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } قال أبو جهل: الأمر إلينا. إن شئنا ٱستقمنا، وإن شئنا لم نستقم ـ وهذا هو القَدَر، وهو رأس القَدَرية ـ فنزلت: { وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ } ، فبين بهذا أنه لا يعمل العبد خيراً إلا بتوفيق الله، ولا شراً إلا بخذلانه. وقال الحسن: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاءه الله لها. وقال وهب بن مُنبه: قرأتُ في سبعة وثمانين كتاباً مما أنزل الله على الأنبياء: من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر. وفي التنزيل:
{ **وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلاۤئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوۤاْ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ** }
[الأنعام: 111]. وقال تعالى:{ **وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ** }[يونس: 100]. وقال تعالى:
{ **إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ** }[القصص: 56] والآي في هذا كثير، وكذلك الأخبار، وأن الله سبحانه هدى بالإسلام، وأضل بالكفر، كما تقدم في غير موضع. ختمت السورة والحمد لله.

تفسير النكت والعيون/ الماوردي (ت 450 هـ)

{ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } * { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } * { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } * { بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } * { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } * { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ }

قوله تعالى: { إذا الشمسُ كُوِّرَتْ } فيه خمسة تأويلات:

أحدها: يعني ذهب نورها وأظلمت، قاله ابن عباس.

الثاني: غُوِّرَت، وهو بالفارسية كوبكرد، قاله ابن جبير.

الثالث: اضمحلت، قاله مجاهد.

الرابع: نكست، قاله أبو صالح.

الخامس: جمعت فألقيت، ومنه كارة الثياب لجمعها، وهو قول الربيع بن خيثم.

{ وإذا النجوم انْكَدَرَتْ } فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: تناثرت، قاله الربيع بن خيثم.

الثاني: تغيرت فلم يبق لها ضوء، قاله ابن عباس.

الثالث: تساقطت، قاله قتادة، ومنه قول العجاج:

أبصَرَ خرْبان فضاء فانكَدَرْ   تَقَضِّيَ البازي إذا البازي كَسَر

ويحتمل رابعاً: أن يكون انكدارها طمس آثارها، وسميت النجوم نجوماً لظهورها في السماء بضوئها.

{ وإذا الجبالُ سُيِّرتْ } يعني ذهبت عن أماكنها، قال مقاتل: فسويت بالأرض كما خلقت أول مرة وليس عليها جبل ولا فيها واد.

{ وإذا العِشارُ عُطِّلتْ } والعشار: جمع عشراء وهي الناقة إذا صار لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس أموالهم عندهم، قال الأعشى:

هو الواهبُ المائةَ المصْطفا ةَ إمّا مخاضاً وإمّا عِشاراً

فتعطل العشار لاشتغالهم بأنفسهم من شدة خوفهم.

وفي " عطلت " تأويلان:

أحدهما: أُهملت، قاله الربيع.

الثاني: لم تحلب ولم تدر، قاله يحيى بن سلام.

وقال بعضهم: العشار: السحاب تعطل فلا تمطر.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أنها الأرض التي يعشر زرعها فتصير للواحد عُشراً، تعطل فلا تزرع.

{ وإذا الوُحوشُ حُشِرتْ } فيه أربعة تأويلات:

أحدها: جمعت، قاله الربيع.

الثاني: اختلطت، قاله أبي بن كعب فصارت بين الناس.

الثالث: حشرت إلى القيامة للقضاء فيقتص للجمّاء من القرناء، قاله السدي.

الرابع: أن حشرها بموتها، قاله ابن عباس.

{ وإذا البحارُ سُجِّرتْ } فيه ثمانية تأويلات:

أحدها: فاضت، قاله الربيع.

الثاني: يبست، قاله الحسن.

الثالث: ملئت، أرسل عذبها على مالحها، ومالحها على عذبها حتى امتلأت، قاله أبو الحجاج.

الرابع: فجرت فصارت بحراً واحداً، قاله الضحاك.

الخامس: سيرت كما سيرت الجبال، قاله السدي.

السادس: هو حمرة مائها حتى تصير كالدم، مأخوذ من قولهم عين سجراء أي حمراء.

السابع: يعني أوقدت فانقلبت ناراً، قاله عليّ رضي الله عنه وابن عباس وأُبي بن كعب.

الثامن: معناه أنه جعل ماؤها شراباً يعذب به أهل النار، حكاه ابن عيسى.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيف " سجرت " إخباراً عن حالها مرة واحدة، وقرأ الباقون بالتشديد إخباراً عن حالها في تكرار ذلك منها مرة بعد أخرى.

{ وإذا النفوسُ زُوِّجَتْ } فيه أربعة تأويلات:

أحدها: يعني عُمل بهن عملٌ مثل عملها، فيحشر العامل بالخير مع العامل بالخير إلى الجنة، ويحشر العامل بالشر مع العامل بالشر إلى النار، قاله عطية العوفي: حين يكون الناس أزواجاً ثلاثة.

الثاني: يزوج كل رجل نظيره من النساء فإن من أهل الجنة زوّج بامرأة من اهل الجنة، وإن كان من أهل النار زوّج بامرأة من أهل النار، قاله عمر بن الخطاب، ثم قرأ:

{ احْشُرُوا الذين ظلموا وأزواجهم } الثالث: معناه ردّت الأرواح إلى الأجساد، فزوجت بها أي صارت لها زوجاً، قاله عكرمة والشعبي.

الرابع: أنه قرن كل غاو بمن أغواه من شيطان أو إنسان، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل خامساً: زوجت بأن أضيف إلى كل نفس جزاء عملها، فصار لاختصاصها به كالتزويج.

{ وإذا الموءوجة سُئِلَتْ } والموءودة المقتولة، كان الرجل في الجاهلية إذا ولدت امرأته بنتاً دفنها حية، إما خوفاً من السبي والاسترقاق، وإما خشية الفقر والإملاق، وكان ذوو الشرف منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر الفرزدق فقال:

ومِنّا الذي مَنَعَ الوائداتِ فأحْيا والوئيدَ فلم تُوأَدِ

وسميت موءودة للثقل الذي عليها من التراب، ومنه قوله تعالى: { ولا يئوده حفظهما } أي لا يثقله، وقال متمم بن نويرة:

وموءودةٍ مقبورة في مفازةٍ بآمتها موسودة لم تُمهّدِ

فقال توبيخاً لقاتلها وزجراً لمن قتل مثلها { وإذا الموءودة سئلت } واختلف هل هي السائلة أو المسئولة، على قولين:

أحدهما: وهو قول الأكثرين أنها هي المسئولة: { بأيِّ ذَنْبِ قُتِلَتْ } فتقول: لا ذنب لي، فيكون ذلك أبلغ في توبيخ قاتلها وزجره.

الثاني: أنها هي السائلة لقاتلها لم قتلت، فلا يكون له عذر، قاله ابن عباس وكان يقرأ: وإذا الموءودة سألت.

قال قتادة: يقتل أحدهما بنته ويغذو كلبه، فأبى الله سبحانه ذلك عليهم.

{ وإذا الصُّحُف نُشِرَتْ } يعني صحف الأعمال إذا كتب الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير وشر، تطوى بالموت وتنشر في القيامة، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول: " { ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحْصاها }.

وقرأ حمزة والكسائي بتشديد نشّرت على تكرار النشر، وقرأ الباقون بالتخفيف على نشرها مرة واحدة، فإن حمل على المرة الواحدة فلقيام الحجة بها، وإن حمل على التكرار ففيه وجهان:

أحدهما: للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع.

الثاني: لتكرير ذلك من الإنسان والملائكة الشهداء عليه.

{ وإذا السماءُ كُشِطَتْ } فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها يعني ذهبت، قاله الضحاك.

الثاني: كسفت، قاله السدي.

الثالث: طويت، قاله يحيى بن سلام، كما قال تعالى: { يوم نطوي السماء } الآية.

{ وإذا الجحيمُ سُعِّرَتْ } فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أحميت، قاله السدي.

الثاني: أُوقدت، قاله معمر عن قتادة.

الثالث: سعّرها غضب الله وخطايا بني آدم، قاله سعيد عن قتادة.

{ وإذا الجنّةُ أُزْلِفَتْ } أي قرّبت، قال الربيع: إلى هاتين الآيتين ما جرى الحديث فريق في الجنة وفريق في السعير.

{ عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرتْ } يعني ما عملت من خير وشر. وهذا جواب { إذا الشمس كورت } وما بعدها، قال عمر بن الخطاب: لهذا جرى الحديث، وقال الحسن: { إذا الشمس كورت } قسم وقع على قوله { علمت نفسٌ ما أَحضَرَتْ }.

15

{

فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ } * { ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } * { وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } * { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } * { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } * { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ } * { مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } * { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } * { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } * { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } * { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } * { فَأيْنَ تَذْهَبُونَ } * { إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } * { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } * { وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ}

{ فلا أُقسِمُ بالخُنّسِ } فيه أربعة تأويلات:

أحدها: النجوم التي تخنس بالنهار وإذا غربت، قاله الحسن وقتادة.

الثاني: خمسة الأنجم وهي: زحل وعطارد والمشتري والمريخ والزهرة، قاله عليّ.

وفي تخصيصها بالذكر وجهان:

أحدهما: لأنها لا تستقبل الشمس، قاله بكر بن عبد الله المزني.
الثاني: لأنها تقطع المجرَّة، قاله ابن عباس.

الثالث: أن الخنس بقر الوحش، قاله ابن مسعود.

الرابع: أنها الظباء، قاله ابن جبير.

ويحتمل تأويلاً خامساً: أنها الملائكة لأنها تخنس فلا تُرى، وهذا قَسَمٌ مبتدأ، و " لا " التي في قوله { فلا أقسم بالخنس } فيها الأوجه الثلاثة التي في { لا أقسم بيوم القيامة }.

{ الجوار الكُنّسِ } فيها التأويلات الخمسة:

أحدها: النجوم، قاله الحسن، سميت بالجواري الكنس لأنها تجري في مسيرها.
الثاني: أنها النجوم الخمسة، وهو قول عليّ.
والكنّس، الغيّب، مأخوذ من الكناس وهو كناس الوحش التي تختفي فيه، قال أوس بن حجر:

ألم تر أن الله أنزل مُزْنَهُ وعُفْرُ الظباءِ في الكِناس تَقَمّعُ

الثالث: أنها بقر الوحش لاختفائها في كناسها، قاله ابن مسعود.

الرابع: الظباء، قاله ابن جبير.
الخامس: هي الملائكة.
{ والليلِ إذا عَسْعَسَ } فيه ثلاثة تأويلات:

أحدها: أظلم، قاله ابن مسعود ومجاهد، قال الشاعر:

حتى إذ ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسا رَكِبْنَ مِن حَدِّ الظَّلامِ حِنْدساً

الثاني: إذا ولى، قاله ابن عباس وابن زيد، قال الشاعر:

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

الثالث: إذا أقبل، قاله ابن جبير وقتادة، وأصله العس وهو الامتلاء، ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلائه بما فيه، فانطلق على إقبال الليل لابتداء امتلائه، وانطلق على ظلامه لاستكمال امتلائه،

{ والصبحِ إذا تَنَفّسَ } فيه تأويلان:

أحدهما: طلوع الفجر، قاله عليّ وقتادة.

الثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك.

وفي " تنفّسَ " وجهان:

أحدهما: بان إقباله.

الثاني: زاد ضوؤه.

ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون تنفس بمعنى طال، مأخوذ من قولهم قد تنفس النهار إذا طال.

{ إنه لَقَوْلُ رسولٍ كريمٍ } وهو جواب القسم، يعني القرآن.

وفي الرسول الكريم قولان:

أحدهما: جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحاك.

الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ابن عيسى، فإن كان المراد به جبريل فمعناه قول رسول للّه كريم عن رب العالمين لأن أصل القول الذي هو القرآن ليس من الرسول، إنما الرسول فيه مبلغ على الوجه الأول، ومبلغ إليه على الوجه الثاني.

{ مُطاعٍ ثَمَّ أمينٍ } هو جبريل في أصح القولين، يعني مطاعاً فيمن نزل عليه من الأنبياء، أميناً فيما نزل به من الكتب.

{ وما صاحبكم بمجنونٍ } يعني النبي صلى الله عليه وسلم.

{ ولقد رآه بالأفق المبين } وفي الذي رآه قولان:

أحدهما: أنه رأى ربه بالأفق المبين، وهو معنى قول ابن مسعود.

الثاني: رأى جبريل بالأفق المبين على صورته التي هو عليها، وفيها قولان:

أحدهما: أنه رآه ببصره، قاله ابن عباس وعائشة.

الثاني: بقلبه، ولم يره ببصره، قاله أبو ذر.

وفي " الأفق " قولان:

أحدهما: أنه مطلع الشمس.

الثاني: أقطار السماء ونواحيها، قال الشاعر:

أخَذْنا بآفاقِ السماءِ عليكمُ لنا قَمَراها والنّجومُ الطّوالعُ

فعلى هذا فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنه رآه في أفق السماء الشرقي، قاله سفيان.

والثاني: في أفق السماء الغربي، حكاه ابن شجرة.

الثالث: أنه رآه نحو أجياد، وهو مشرق مكة، قاله مجاهد، { وما هو على الغَيْبِ بضنين } قرأ بالظاء ابن كثير وأبو عمرو والكسائي وفيه وجهان:

أحدهما: وما محمد على القرآن بمتهم أن يأتي بما لم ينزل عليه، قاله ابن عباس.

الثاني: بضعيف عن تأديته، قاله الفراء.

وقرأ الباقون بالضاد، وفيه وجهان:

أحدهما: وما هو ببخيل أن يعلِّم كما تعلّم.

الثاني: وما هو بمتهم أن يؤدي ما لم يؤمر به.

{ فأيْنَ تَذْهَبون } فيه وجهان:

أحدهما: فإلى أين تعدلون عن كتاب الله تعالى وطاعته، قاله قتادة.

الثاني: فأي طريق أهدى لكم وأرشد من كتاب الله، حكاه ابن عيسى.

ويحتمل ثالثاً: فأين تذهبون عن عذابه وعقابه.

{ وما تشاؤون إلا أن يشاءَ اللهُ ربُّ العالَمين } فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا أن يشاء الله لكم.

الثاني: وما تشاؤون الهداية إلا أن يشاء الله بتوفيقه:
وقيل إن سبب نزول هذه الآية أنه لما نزل قوله تعالى:

{ لمن شاء منكم أن يستقيم } قال أبو جهل: ذلك إلينا إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله تعالى: { وما تشاءون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين }.

تفسير الوسيط في تفسير القرآن الكريم/ طنطاوي (ت 1431 هـ)

{ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } * { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } * { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } * { بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } * { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } * { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ }

تكرر لفظ " إذا " فى هذه الآيات اثنى عشرة مرة، وجواب الشرط قوله: { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ }. وهذا التكرار بلفظ إذا من مقاصده التشويق للجواب، لأن السامع عندما يجد هذا الظرف وقد تكرر يكون فى ترقب وشوق لمعرفة الجواب.

وعندما يسمعه يتمكن من نفسه كل التمكن.

ولفظ " الشمس مرفوع على أنه فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده، أى: إذا كورت الشمس كورت، وأصل التكوير: لف الشئ على جهة الاستدارة، تقول: كورت العمامة، إذا لففتها.

قال صاحب الكشاف: فى التكوير وجهان: أحدهما: أن يكون من كورت العمامة إذا لففتها. أى: يلف ضوء الشمس لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها، لأنها ما دامت باقية، كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف.

وثانيهما: أن يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها، لأن الثواب إذا أريد رفعه، لف وطوى ونحوه قوله - تعالى -:
{ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ }
أى: إذا الشمس أزيل ضوؤها بعد انتشاره وانبساطه، فأصبحت مظلمة بعد أن كانت مضيئة، ومستترة بعد أن كانت بارزة.

{ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } أى: تناثرت وتساقطت وانقلبت هيئتها من اللمعان

والظهور، إلى الميل نحو الظلام والسواد.

أى: وإذا النجوم تساقطت وانقضت. يقال: انكدر البازى، إذا نزل على فريسته بسرعة، وانكدر الأعداء على القوم إذا جاءوا أرسالا متتابعين فانصبوا عليهم.

ويصح أن يكون المعنى: وإذا النجوم تغيرت وانطمس نورها، وزال لمعانها، من قولهم: كدرت الماء فانكدر، إذا خلط به ما يجعله مائلا إلى السواد والغُبْرة.

{ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } أى: اقتلعت من أماكنها فسارت فى الفضاء بقدرة الله - تعالى -. قال - تعالى -:
{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً }
وقال - سبحانه -:
{ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً }
{ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } والعشار: جمع عُشَراء كنُفَسَاء، وهى الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر. وتسمى بهذا الاسم إلى أن تضع لتمام السنة. والنوق العشار كانت من أثمن الأموال عند العرب، وكان يحافظون عليها حتى فى أشد حالات الخوف.

ومعنى " عطلت ": أهملت وتركت بدون راع يحميها، أو يلتفت إليها، وهذا تصوير بديع لما يصيب الناس من أهوال، تجعلهم لا يلتفتون إلى أعز أموالهم لديهم.

أى: وإذا النوق العشار - التى هى أغلى الأموال - عطلت، أى تركت دون أن يلتفت إليها أحد. لانشغال كل إنسان بنفسه.

وقيل: المراد بالعشار: السحب المحملة بالأمطار. أى: وإذا السحب الحاملة للأمطار قد عطلت عن نزول المطر منها، وصارت خالية من الماء الذى يحيى الأرض بعد موتها.

قال القرطبى ما ملخصه: { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَت } أى: النوق الحوامل التى فى بطونها أولادها، الواحدة عُشَراء.

. وإنما خصت بالذكر، لأنها أعز ماتكون عند العرب.. وهذا على وجه المثل. لأن فى القيامة لا تكون ناقة عشراء، ولكن أراد به المثل، أن هول يوم القيامة، بحال ما لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه.

وقيل: العشار: السحاب يعطل مما يكون فيه وهو الماء فلا يمطر، والعرب تشبه السحاب بالحامل.

وقيل: الديار تعطل فلا تسكن.. والأول أشهر، وعليه من ناس الأكثر.

{ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } أى: وإذا الحيوانات المتوحشة - كالأسد والنمر وغيرهما.

{ حُشِرَتْ } أى: جمعت من أماكنها المتفرقة، وخرجت فى ذهول، وتلاقت دون أن يعتدى بعضها على بعض، مخالفة بذلك ما طبعت عليه من النفور والتقاتل.

قال الآلوسى قوله: { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ } جمع وحش، وهو حيوان البر الذى ليس فى طبعه التأنس ببنى آدم.. { حُشِرَتْ } أى: جمعت من كل جانب. وقيل: حشرت. أى: أميتت.. وقيل: حشرت: بعثت للقصاص، فيحشر كل شئ حتى الذباب.

أخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة فى هذه الآية قال: **" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لتُؤدَّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجماء من الشاة القرناء.. ".**

{ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } أى: امتلأت وفاض ماؤها واختلط عذبها بملحها، وصارت بحرا واحداً، مأخوذ من قولهم: سجر الحوض، إذا ملأه حتى فاض من جانبيه.

ويصح أن يكون معنى " سجرت ": أحميت بالنار حتى تبخرت مياهها، وظهرت النار فى مكانها، من قولهم: سجر فلان التنور، إذا ملأه بالحطب المعد للحرق.

{ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } وقوله: { زُوِّجَتْ } من التزويج وهو جعل الشئ زوجا لغيره، بعد أن كان كلاهما فرداً، ويطلق الزوج - أيضاً - على الصنف والنوع، كما فى قوله - تعالى -
{ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ }
أى: وإذا النفوس اقترنت كل واحدة منها ببدنها، أو بمن يشبهها، أو بعملها.

قال الفخر الرازى قوله: { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } فيه وجوه: أحدها: قرنت الأرواح بالأجساد.

ثانيها: يصيرون فيها - أى: يوم القيامة - ثلاثة أصناف، كما قال - تعالى -
{ وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً }
ثالثها: أنه يضم إلى كل صنف من كان من طبقته، فيضم الطائع إلى مثله..

ثم قال - تعالى -: { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } ولفظ " الموءودة " من الوأد، وهو دفن الطفلة الحية.

قال صاحب الكشاف وأد يئد مقلوب من آد يؤود: إذا أثقل. قال - تعالى -
{ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا }
لأنه إثقال بالتراب.

فإن قلت: ما حملهم على وأد البنات؟ قلت: الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن، أو الخوف من الإملاق.

فإن قلت: فما معنى سؤال الموءودة عن ذنبها الذى قتلت به؟ وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها؟ قلت: سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها، نحو التبكيت - لقوم عيسى - فى قوله - تعالى - لعيسى:

}أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ{
أى: وإذا الموءودة سئلت، على سبيل التبكيت والتقريع لمن قتلها، بأى سبب من الأسباب قتلك قاتلك.

ولا شك أنها لم ترتكب ما يوجب قتلها، وإنما القصد من ذلك إلزام قائلها الحجة، حتى يزداد افتضاحا على افتضاحه.

وقد حكى القرآن فى كثير من الآيات، ما كان يفعله أهل الجاهلية من قتلهم للبنات، ومن ذلك قوله - تعالى:-
}وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِٱلأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوۤءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي ٱلتُّرَابِ أَلاَ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ{
ولم يكن الوأد معمولا به عند جميع قبائل العرب، فقريش - مثلا - لم يعرف عنها ذلك وإنما عرف فى قبائل ربيعة، وكنده، وتميم. ولكنهم لما كانوا جميعا راضين عن هذا الفعل، جاء الحكم عاما فى شأن أهل الجاهلية.

وقوله -سبحانه -: { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } أى: بسطت بعد أن كانت مطوية، وهى صحف الأعمال التى سجلتها الملائكة على أصحابها، سواء أكانت تلك الأعمال خيرا أم شرا، فهذه الصحائف تطوى عند الموت، وتنشر يوم القيامة، يوم الحساب والجزاء.

قال - تعالى:-

}وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً. ٱقْرَأْ كَتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً{

}وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ { أى: قلعت وأزيلت، وأصل الكشط إزالة جلدة الحيوان عنه. يقال: كشطت البعير كشطا، إذا نزعت جلده منه. أى: وإذا السماء نزعت وأزيلت، فلم تبق على هيئتها التى كانت عليها، من إظلالها لما تحتها.

}وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ { أى: أوقدت إيقادا شديدا للكفار، والجحيم هى النار ذات الطبقات المتعددة من الوقود كالحطب وغيره، وتسعيرها: إيقادها بشدة.

}وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ { أى: قربت وأدنيت من المؤمنين، كما فى قوله - تعالى:-

}وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ{

من الزلفى بمعنى القرب، يقال: تزلف فلان إلى فلان، إذا تقرب منه.

وقوله } :عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ { هو جواب الشرط لكل تلك الظروف السابقة. أى: إذا الشمس كورت، وإذا النجوم انكدرت تبين لكل نفس ما عملته من خير أو شر، ومن حسن أو قبيح.. ورأت ذلك رأى العين، كما قال - تعالى:-

}يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوۤءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدَاً بَعِيداً{ ...

والمراد بالنفس عموم الأنفس، لأن النكرة فى سياق النفى تشمل كل نفس وأسند - سبحانه -الإِحضار إلى النفوس، لأنها هى المباشرة لأعمالها فى الدنيا، والتى ستجد جزاءها فى الآخرة.

وجعلت معرفة النفوس لجزاء أعمالها، حاصلة عند حصول مجموع الشروط التى ذكرت فى الجمل الاثنتى عشرة، لأن بعض الزمان والأحوال التى تضمنتها هذه الشروط مقارن لحصول علم النفوس بأعمالها، كما فى الستة الأخيرة، فإنها تكون عند فصل القضاء، وبعضها يحصل قبل ذلك بقليل، كما فى الأحوال الستة المذكورة أولا، إلا أنه لما كان بعض هذه الأمور من مبادئ يوم القيامة، وبعضها من روادفه، نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع هذه الأمور كلها، تهويلا للخطب، وتفظيعا للأمر .

وإشعاراً بأن ما يسبق يوم القيامة وما يعقبه، كل ذلك من الأهوال التى يشيب لها الولدان.

وبعد أن ساق ـ ما ساق من أحوال تدل على شدائد يوم القيامة، أتبع ذلك ببيان أن هذا القرآن من عنده ـ تعالى ـ وأن الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يبلغه عن ربه، فقال:

{ فَلاَ أُقْسِمُ... }.
15
{فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ } * { ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } * { وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } * { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } * { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } * { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ } * { مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } * { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } * { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } * { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } * { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } * { فَأيْنَ تَذْهَبُونَ } * { إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } * { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } * { وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ}

والفاء فى قوله ـ تعالى ـ: { فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ... } للتفريع على ما تقدم من تحقيق وقوع البعث، وهى تعطى ـ أيضاً ـ معنى الإِفصاح، و " لا " مزيدة لتأكيد القسم، وجواب القسم قوله ـ تعالى ـ { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ }.

و { الخنس } ـ بزنة رُكَّع ـ جمع خانس، والخنوس: الاستخفاء والاستتار، يقال: خنست الظبية والبقرة، إذا اختفت فى بيتها.

و { الجوار } جمع جارية، وهى التى تجرى بسرعة، من الجرى بمعنى الإِسراع فى السير.

و { الكنس } جمع كانس. يقال: كنس الظبى، إذا دخل كناسه ـ بكسر الكاف ـ وهو البيت الذى يتخذه للمبيت، وسمى بذلك لأنه يتخذه من أغصان الأشجار، ويكنس الرمل إليه حتى يكون مختفيا عن الأعين.

وهذه الصفات، المراد بها النجوم، لأنها بالنهار تكون مختفية عن الأنظار، ولا تظهر إلا بالليل، فشبهت بالظباء التى تختفى فى بيوتها ولا تظهر إلا فى أوقات معينة.

أى: إذا كان الأمر كما ذكرت لكم من أن البعث حق.. فأقسم بالنجوم التى تخنس بالنهار، أى: يغيب ضؤوها عن العيون بالنهار، ويظهر بالليل، والتى تجرى من مكان إلى آخر بقدرة الله - تعالى - ثم تكنس - أى: تستتر وقت غروبها - كما تتوارى الظباء فى كُنُسِها.. إن هذا القرآن لقول رسول كريم.

قال ابن كثير ما ملخصه: قوله - تعالى - { فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ. ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ }: هى النجوم تخنس بالنهار، وتظهر بالليل، روى ذلك عن على بن أبى طالب وابن عباس ومجاهد.

وقال بعض الأئمة: وإنما قيل للنجوم " الخنس " أى: فى حال طلوعها، ثم هى جوار فى فلكها، وفى حال غيبوبتها، يقال لها " كنس " ، من قول العرب. أوى الظبى إلى كناسه: إذا تغيب فيه.

وفى رواية عن ابن عباس: أنها الظباء، وفى أخرى أنها بقر الوحش حين تكنس إلى الظل أو إلى بيوتها.

وتوقف ابن جرير فى قوله: { بِٱلْخُنَّسِ. ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } هل هى النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال: ويحتمل أن يكون الجميع مرادا..

وقوله: { وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ. وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } معطوف على ما قبله. وداخل فى حيز القسم.

وقوله { عسعس } أدبر ظلامه أو أقبل، فهذا اللفظ من الألفاظ التى تستعمل فى الشئ وضده، إلا أن المناسب هنا يكون المراد به إقبال الظلام، لمقابلته بالصبح إذا تنفس، أى: أضاء وأسفر وتبلج.

وقيل: العسعسة: رقة الظلام وذلك فى طرفى النهار، فهو من المشترك المعنوى، وليس من الأضداد، أى: أقبل وأدبر معاً. أى: وحق النجوم التى تغيب بالنهار، وتجرى فى حال استتارها.. وحق الليل إذا أقبل بظلامه، والصبح إذا أقبل بضيائه.

{ إِنَّهُ } أى: القرآن الكريم { لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } وهو جبريل - عليه السلام - الذى أرسله ربه إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لكى يبلغه وحيه - تعالى -.

وأقسم الله - تعالى - بهذه الأشياء، لأنها فى حركاتها المختلفة، من ظهور وأفول، ومن إقبال وإدبار.. تدل دلالة ظاهرة على قدرة الله - تعالى -، وعلى بديع صنعه فى خلقه.

ونسب - سبحانه - القول إلى الرسول - وهو جبريل - لأنه هو الواسطة فى تبليغ الوحى إلى النبى صلى الله عليه وسلم.

ثم وصف - سبحانه - أمين وحيه جبريل بخمس صفات: أولها: قوله { كريم } أى: ملك شريف، حسن الخلق، بهى المنظر، ثانيها: { ذِي قُوَّةٍ } أى: صاحب قوة وبطش.

كما قال - تعالى -:
{ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ... }
ثالثها: { عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ } أى: أن من صفات جبريل - عليه السلام - أنه ذو مكانة رفيعة، ومنزلة عظيمة عند الله - تعالى -.

رابعها: قوله - تعالى - { مطاع } أى يطيعه من معه من الملائكة المقربين.

وخامسها: قوله: - سبحانه - { ثَمَّ أَمِينٍ } و " ثم " بفتح الثاء - ظرف مكان للبعيد. والعامل ما قبله أو ما بعده، والمعنى: أنه مطاع فى السموات عند ذى العرش، أو أمين فيها، أى: يؤدى ما كلفه الله - تعالى - به بدون أية زيادة أو نقص.

قال الشوكانى: ومن قال إن المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم فالمعنى: أنه ذو قوة على تبليغ الرسالة إلى الأمة، مطاع يطيعه من أطاع الله، أمين على الوحى.

وقوله: { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ }: الخطاب لأهل مكة، والمراد بصاحبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والمعنى: وما محمد يا أهل مكة بمجنون، وذكره بوصف الصحبة للإِشعار بأنهم عالمون بأمره، وأنه ليس مما يرمونه من الجنون وغيره فى شئ، وأنهم افتروا عليه ذلك، عن علم منهم، بأنه أعقل الناس وأكملهم، وهذه الجملة داخلة فى جواب القسم.

فأقسم - سبحانه - بأن القرآن نزل به جبريل، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس كما يقولون من أنه مجنون، وأنه يأتى القرآن من جهة نفسه.

فالمقصود بالآية نفى الجنون عن النبى صلى الله عليه وسلم بأكمل وجه، وتوبيخ أعدائه الذين اتهموه بتهمة هم أول من يعلم - عن طريق مشاهدتهم لاستقامة تفكيره، وسمو أخلاقه - أنه أكمل الناس عقلا وأقومهم سلوكا.

وقوله - سبحانه -: { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } معطوف - أيضا - على قوله - تعالى - قبل ذلك: { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } فهو من جملة المقسم عليه.

والمقصود بهذه الرؤية: رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لجبريل - عليه السلام - لأول مرة، على الهيئة التى خلقه الله عليها، عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتعبد فى غار حراء، وكان صلى الله عليه وسلم قد سأل جبريل أن يريه نفسه، على الهيئة التى خلقه الله - تعالى - عليها.

والأفق:هو الفضاء الواسع الذى يبدو للعين ما بين السماء والأرض.

والمبين: وصف للأفق، أى: بالأفق الواضح البين، الذى لا تشتبه معه المرئيات.

والمعنى: ووالله لقد رأى صاحبكم محمد صلى الله عليه وسلم جبريل، بصورته التى خلقه الله عليها، بالأفق الواضح البين، الذى لا تلتبس فيه المرئيات، ولا مجال فيه للأوهام والتخيلات.

والمقصود من الآية الكريمة الرد على المشركين الذين كانوا إذا أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رأى جبريل. كذبوه واستهزءوا به، وتأكيد أن هذه الرؤية كانت حقيقة واقعة، لا مجال معها للتشكيك أو اللبس.

قال الإمام ابن كثير: وقوله - تعالى - { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } يعنى: ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله - عز وجل - وعلى الصورة التى خلقه الله عليها، له ستمائه جناح { بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } أى: البين، وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء - أى بالمكان المجاور لغار حراء. وهى المذكورة فى قوله - تعالى -:
{ عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ. ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ. وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ. ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ. فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ... }
والضمير فى قوله - تعالى -: { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم المعبر عنه قبل ذلك " بصاحبكم ".

والغيب: ما غاب عن مدارك الناس وحواسهم، لأن الله - تعالى - قد استأثر بعلمه.

والضنين: هو البخيل بالشئ، مأخوذ من الضن - بالكسر والفتح - بمعنى البخل.

قال الآلوسى: " وما هو " أى: رسول الله صلى الله عليه وسلم " على الغيب " أى: على ما يخبر به من الوحى إليه وغيره من الغيوب " بضنين " من الضن - بكسر الضاد وفتحها - بمعنى البخل، أى: ببخيل، أى: لا يبخل بالوحى، ولا يقصر فى التعليم والتبليغ، ومنح كل ما هو مستعد له من العلوم، على خلاف الكهنة فإنهم لا يطلعون غيرهم على ما يزعمون معرفته إلا بإعطائهم حلوانا.

وقرأ ابن كثير والكسائى وأبو عمر { بِضَنِينٍ } - بالظاء - أى: وما هو على الغيب بمتهم، من الظنة - بالكسر - بمعنى التهمة.

ثم قال: ورجحت هذه القراءة، لأنها أنسب بالمقام، لاتهام الكفرة له صلى الله عليه وسلم بذلك، ونفى التهمة، أولى من نفى البخل.

وهذا القول لا نوافق الآلوسى - رحمه الله - عليه، لأن القراءة متى ثبتت عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز التفاضل بينها وبين غيرها التى هى مثلها فى الثبوت، والقراءتان هنا سبعيتان، ومن ثم فلا ينبغى التفاضل بينهما.

* تفسير صفوة التفاسير/ الصابوني (مـ 1930م -)

{ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } * { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } * { وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ } * { بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } * { وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } * { وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } * { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } * { عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ } * { فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ } * { ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } * { وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } * { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } * { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } * { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ } * { مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } * { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } * { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } * { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } * { وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } * { فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } * { إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } * { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ } * { وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ }

اللغَة: { ٱنكَدَرَتْ } تناثرت { ٱلْعِشَارُ } جمع عشراء وهي الناقة التي مرَّ على حملها عشرة أشهر { كُشِطَتْ } نُزعت وقلعت يقال: كشطت جلد الشاة أي نزعته وسلخته عنها { ٱلْخُنَّسِ } الكواكب المضيئة التي تخنس نهاراً وتختفي عن البصر جمع خانس { ٱلْكُنَّسِ } النجوم التي تغيب يقال: كنس إذا دخل الكناس وهو المكان الذي تأوي إليه الظباء { عَسْعَسَ } أقبل بظلامه قال الخليل: عسعس الليلُ: إذا أقبل أو أدبر فهو من الأضداد قال الشاعر:

حتَّى إذا الصُبْحُ لها تنفَّسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

التفسِير: { إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } هذه الآيات بيانٌ لأهوال القيامة وما يكون فيها من الشدائد والكوارث، وما يعتري الكون والوجود من مظاهر التغيير والتخريب والمعنى: إذا الشمس لُفَّت ومُحي ضوءُها { وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ } أي وإذا النجوم تساقطت من مواضعها وتناثرت { وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ } أي وإذا الجبال حركت من أماكنها، وسُيّرت في الهواء حتى صارت كالهباء كقوله تعالى
{ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلأَرْضَ بَارِزَةً }[الكهف: 47]

{ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ } أي وإذا النوق الحوامل تركت هملاً بلا راعٍ ولا طالب، وخصَّ النوق بالذكر لأنها كرائم أموال العرب { وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ } أي وإذا الوحوش جُمعت من أوكارها وأجحارها ذاهلةً من شدة الفزع
{ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ } أي وإذا البحار تأججت ناراً، وصارت نيراناً تضطرم وتلتهب
{ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ } أي وإذا النفوس قُرنت بأشباهها، فقرن الفاجر مع الفاجر، والصالح مع الصالح قال الطبري: يُقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح في الجنة، وبين الرجل السوء مع الرجل السُّوء في النار
{ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ } أي وإذا البنت التي دفنت وهي حية سئلت توبيخاً لقاتلها: ما هو ذنبها حتى قتلت؟ قال في التسهيل: الموءودة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حيَّةً من كراهته لها أو غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة { بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ }؟ على وجه التوبيخ لقاتلها

{ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ } أي وإذا صحف الأعمال نشرت وبسطت عند الحساب
{ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ } أي وإذا السماء أزيلت ونزعت من مكانها كما ينزع الجلد عن الشاة
{ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ } أي وإذا نار جهنم أوقدت وأُضرمت لأعداء الله تعالى { وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } أي وإذا الجنة أدنيت وقربت من المتقين

{ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ } أي علمت كل نفسٍ ما أحضرتْ من خيرٍ أو شر، وهذه الجملة
{ عَلِمَتْ نَفْسٌ } هي جواب ما تقدم من أول السورة
{ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ } إلى هنا، والمعنى إذا حدثت تلك الأمور العجيبة الغريبة، علمت حينئذٍ كل نفسٍ ما قدمته من صالح أو طالح.. ثم أقسم تعالى على صدق القرآن، وصحة رسالة محمد عليه السلام فقال
{ فَلاَ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ } أي فأقسم قسماً مؤكداً بالنجوم المضيئة التي تختفي بالنهار، وتظهر بالليل
{ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ } أي التي تجري وتسير مع الشمس والقمر ثم تستتر وقت غروبها، كا تستتر الظباء في كناسها - مغاراتها - قال القرطبي: النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، وتكنس وقت غروبها أي تستتر، كما تكنس الظباء في المغار وهو الكناس
{ وَٱللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ } أي وأقسم بالليل إذا أقبل بظلامه حتى غطَّى الكون { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } أي وبالصبح إذا أضاء وتبلَّج، واتَّسع ضياؤه حتى صار نهاراً واضحاً
{ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ } هذا هو المقسم عليه أي إن هذا القرآن الكريم، لكلامُ الله المنزَّل بواسطة ملك عزيز على الله هو جبريل كقوله تعالى

}نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ]{ الشعراء193 :-194]

قال المفسرون: أراد بالرسول " جبريل " وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به، وهو في الحقيقة قول الله تعالى، ومما يدل على أن المراد به جبريل قوله بعده { ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ } أي شديد القوة، صاحب مكانة رفيعة، ومنزلة سامية عند الله جلا وعلا { مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ } أي مطاعٍ هناك في الملأ الأعلى، تطيعه الملائكة الأبرار، مؤتمن على الوحي الذي ينزل به على الأنبياء { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } أي وليس محمد الذي صاحبتموه يا معشر قريش، وعرفتم صدقه ونزاهته ورجاحة عقله بمجنون كما زعمتم قال الخازن: أقسم تعالى على أن القرآن نزل به جبريل الأمين، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون كما يزعم أهل مكة، فنفى تعالى عنه الجنون، وكون القرآن من عند نفسه { وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ } أي وأقسمُ لقد رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الملكية التي خلقه الله عليها بجهة الأفق الأعلى البيّن من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس قال في البحر: وهذه الرؤية بعد أمر غار حراء، حين رأى جبريل على كرسي بين السماء والأرض، في صورته له ستمائة جناح قد سدَّ ما بين المشرق والمغرب { وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ } أي وما محمد على الوحي ببخيل يقصِّر في تبليغه وتعليمه، بل يبلغ رسالة

ربه بكل أمانةٍ وصدق } وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ } أي وما هذا القرآن بقول شيطان ملعون كما يقول المشركون { فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ } أيْ فأيَّ طريقٍ تسلكون في تكذيبكم للقرآن، واتهامكم له بالسحر والكهانة والشعر، مع وضوح آياته وسطوع براهينه؟ وهذا كما تقول لمن ترك الطريق المستقيم: هذا الطريق الواضح فأين تذهب؟ { إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } أي ما هذا القرآن إلا موعظة وتذكرة للخلق أجمعين { لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ { أي لمن شاء منكم أن يتبع الحق، ويستقيم على شريعة الله، ويسلك طريق الأبرار }وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ } أي وما تقدرون على شيء إلا بتوفيق الله ولطفه، فاطلبوا من الله التوفيق إلى أفضل طريق .

البَلاَغَة: تضمنت السورة الكريمة وجوهاً من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

1- الجناس الناقص بين { ٱلْخُنَّسِ } و { ٱلْكُنَّسِ }.

2- الاستعارة التصريحية { وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ } شبَّه إقبال النهار وسطوع الضياء بنسمات الهواء العليل التي تحيي القلب، واستعار لفظ التنفس لإقبال النهار بعد الظلام الدامس، وهذا من لطيف الاستعارة وأبلغها تصويراً حيث عبر عنه بتنفس الصبح.

3- الكناية اللطيفة { وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ } كنى عن محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ { صَاحِبُكُمْ }.
4- الطباق بين لفظ { ٱلْجَحِيمُ..و.. ٱلْجَنَّةُ }.
5- الجناس غير التام بين { أَمِينٍ.. و مَكِينٍ }.
6- توافق الفواصل رعاية لرءوس الآيات مثل { كُوِّرَتْ } ، { سُيِّرَتْ } ، { سُجِّرَتْ } ، { سُعِّرَتْ }
ومثل { ٱلْخُنَّسِ } ، { ٱلْكُنَّسِ } ، { عَسْعَسَ } ، { تَنَفَّسَ } الخ.

http://www.altafsir.com/Tafasir.asp?tMadhNo=0&tTafsirNo=83&tSoraNo=81&tAyahNo=1&tDisplay=yes&Page=3&Size=1&LanguageId=1